مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرٍ حَقِيقِيٍّ لِلْمَرْأَةِ

تأليف

محمد رشيد العويد

دار ابن حزم

مكتبة
دار حواء
الثقافة الناعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مكتبة
دار حواء
الثقافة النامية

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف ٢٦٤٦٠٣١ - فاكس ٢٦٢٠٨٤٢ ص ب ٩٨٠٧ السالمية المركزي

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَـــدّمَة

ما أرجوه من كل امرأة.. هو أن تتأمل في نفسها، وتتفكر معي قليلاً بهدوء وموضوعية وتجرد:

هل تشعر حقاً بالحرية حين تقيم علاقة غير شرعية مع رجل.. يملك أن يتركها ساعة يشاء.. ولا يلزمه تجاهها أي شيء.. أم حين تكون هذه العلاقة مع زوج.. لا يملك أن يتركها إلا بعد أن يؤدي لها حقوقاً كثيرة.. قد يستمر بعضها إلىٰ المستقبل (مثل النفقة)..؟!

هل تشعر بالحرية حين تجلس وسط مجموعة من الرجال.. أم حين تكون وسط مجموعة من النساء..؟

هل تجد الحرية في أن تكون ملزمة بالعمل من أجل الإنفاق علىٰ نفسها وأولادها.. أم حين يكفيها هذه النفقة.. وذاك العمل.. أب أو أخ أو زوج أو ابن أو عم أو خال..؟

هل تمتلك الحرية حين يتهددها خوف.. أو يحيط بها فزع.. أو يواجهها خطر.. أم حين تكون آمنة مطمئنة..؟

هل تعد حرة حين تمتد أيدي الرجال من حولها إلىٰ مالها. . أم حين تملك هي وحدها حق التصرف في مالها. . فلا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بطيب نفسها؟

هل الزوجة حرة حين يسومها زوجها صنوف العذاب. . أم حين يُمنع عن إيذائها؛ ويُحال بينه وبين الإساءة إليها؟

هل الزوجة حرة حين يكون زوجها عبوساً، فظاً، متبلداً، بخيلاً، مهملاً لها. . أم حين يكون بشوشاً، رفيقاً، رقيقاً، سخياً، مهتماً بها؟

هل الزوجة حرة حين يكون ما حولها يتيح المجالات أمام زوجها لخيانتها. . . أم حين تُسدُّ السبل أمام هذه الخيانة؟

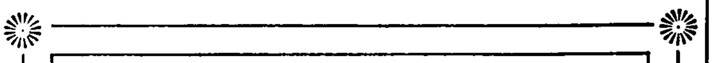
هل المرأة التي تمارس التدخين فتسبب لنفسها أضراراً صحية بالغة. . حرة؟ أم التي تحفظ نفسها وصحتها وجمالها وأولادها من هذه الأضرار؟

وهكذا. . فإني سعيت في هذا الكتاب إلىٰ إيضاح المفهوم الصحيح لحرية المرأة الحقيقية، محاولاً التأكيد علىٰ أن ما زُعم أنه تحرير للمرأة. . إنما هو قيود حقيقية علىٰ حريتها.

اللهم اهد نساءنا وبناتنا إلىٰ الحق، واشرح صدروهن لطاعتك، واتباع نهجك القويم، والسير علىٰ صراطك المستقيم.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم.

محمد رشيد العويد



تحريرها من ضرب الزوج

* لا يجوز البدء بالضرب.
* ضرب غير مبرح.
* لا تستعلوا على نساءكم.
* من لا يضرب خير ممن يضرب.
* والزوج الناشز يضرب بالعصا.
* بعض النساء تريده كذلك
* ٧٩٪ من الأمركيين يضربون زوجاتهم.
* مائة ألف ألمانية يضربهن الرجال سنويا.
* زوجات الأدباء والقضاة يضربن أيضا.
* وبعضهم يحرقها بالسجائر ويكبلها بالسلاسل.
* تختبىء عدة ليال في قن البط.
* وضرب يفضي إلى الموت.
* شلّت يميني يوم أضرب زينبا.
* أين الغربيون والشرقيون من خير الأزواج؟




تحريرها من ضرب الزوج

ورب قائل: وكيف يحرر الإسلام المرأة من ضرب الزوج، وقد أجاز القرآن للرجال ضرب نسائهم في قوله تعالىٰ: ﴿***واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلًا، إن الله كان علياً كبيراً***﴾ النساء ٣٤.[1]

وأقول بل إن هذه الآية الكريمة تقيّد الزوج، وتضع أمامه الحواجز، وتمنعه من الضرب المؤذي، والضرب المنتقم، والضرب بداية.

ثم إن الزوج الأسوة الذي تمثّل فيه الإسلام خير تمثيل، وهو النبي ﷺ، لم يضرب واحدة من زوجاته قط، وفضّل الأزواج الذين لا يضربون زوجاتهم علىٰ الذين يضربونهن.

كذلك فإن القرآن تحدث عن نشوز الزوج كما تحدث عن نشوز الزوجة، وأجاز العلماء للقاضي أن يضرب الزوج الناشز (***الذي لا يجديه وعظ القاضي، ولا هجر زوجته***) بالعصا.

لا يجوز البدء بالضرب

تعالوا نقرأ تفاصيل هذا كله:

منع الإسلام الزوج من ضرب زوجته في ثلاث حالات، تعدُّ قيوداً حاسمة حازمة لا يستطيع التفلت منها، وهي:

١ـ **الضرب بداية**: لا يحق للزوج أن يضرب زوجته الناشز، أو التي يخشىٰ نشوزها، إلا بعد المرور بمرحلتي الوعظ والهجر. قال الشافعي: أما الوعظ فإنه يقول لها: اتقي الله فإن لي عليك حقاً، وارجعي عما أنت عليه، واعلمي أن طاعتي فرض عليك.. ونحو هذا.. ولا يضربها في هذه الحالة لجواز أن يكون لها في ذلك كفاية. فإن أصرت علىٰ ذلك النشوز فعند ذلك يهجرها في المضجع: وفي ضمنه امتناعه من كلامها. ولا يزيد في هجره الكلام ثلاثاً. وأيضاً فإذا هجرها في المضجع فإن كانت تحب الزوج شق ذلك عليها فتترك النشوز، وإن كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران، فكان ذلك دليلاً علىٰ كمال نشوزها، وفيهم من حمل ذلك علىٰ الهجران في المباشرة (أي الجماع) لأن إضافة ذلك إلىٰ المضاجع يفيد ذلك، ثم، عند هذه الهجرة، إن بقيت علىٰ النشوز، ضربها.[٢]

ضرب غير مبرح

٢ـ **الضرب المؤذي**: والضرب في هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرّح، وهو الذي لا يكسر عظماً ولا يشين جارحة، كاللكزة ونحوها: فإن المقصود منه الصلاح لا غير. فلا جرم إذا أدىٰ إلىٰ الهلاك وجب الضمان، وكذلك القول في ضرب المؤدب غلامه لتعليم القرآن والأدب. وقال عليه الصلاة والسلام: «***اضربوا نساءكم إذا عصينكم في معروف ضرباً غير مبرّح***». قال عطاء: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرّح؟ قال: بالسواك ونحوه.[٣] ومنهم من قال: ينبغي أن يكون الضرب بمنديل ملفوف أو بيده، ولا يضربها بالسياط ولا بالعصا، وبالجملة فالتخفيف مراعى في هذا الباب علىٰ أبلغ الوجوه.

يقول الإمام الرازي: الذي يدل عليه ـ أي التخفيف ـ أنه تعالىٰ ابتدأ بالوعظ، ثم ترقىٰ منه إلى الهجران في المضاجع، ثم ترقىٰ منه إلىٰ الضرب، وذلك تنبيه يجري مجرىٰ التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام علىٰ الطريق الأشق. والله أعلم [٤]

لا تستعلوا على نسائكم

٣ـ الضرب المنتقم المتعالي: نهىٰ تعالىٰ عن الضرب الذي فيه انتقام وتعالٍ بقوله: ﴿***فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً***﴾ أي إذا رجعن عن النشوز إلىٰ الطاعة عند هذا التأديب ﴿***فلا تبغوا عليهن سبيلاً***﴾ أي لا تطلبوا عليهن الضرب والهجران طريقاً علىٰ سبيل التعنت والإيذاء ﴿***إن الله كان علياً كبيراً***﴾. وذِكْرُ هاتين الصفتين (أي العلو والكبر) في هذا الموضع في غاية الحسن، وبيانه من وجوه:

الأول: أن المقصود منه تهديد الأزواج علىٰ ظلم النسوان، والمعنىٰ أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم، فالله سبحانه عليّ قاهر قادر: ينتصف لهن منكم، ويستوفي حقهن منكم، فلا ينبغي أن تغتروا بكونكم أعلىٰ يداً منهن، وأكبر درجة منهن.

الثاني: لا تبغوا عليهن إذا أطعنكم لعلوّ أيديكم: فإن الله أعلىٰ منكم وأكبر من كل شيء، وهو متعال عن أن يكلف إلا بالحق.

الثالث: أنه تعالىٰ، مع علوّه وكبريائه، لا يكلفكم إلا ما تطيقون، فكذلك لا تكلفوهن محبتكم، فإنهن لا يقدرن علىٰ ذلك.

الرابع: أنه تعالىٰ، مع علّوه وكبريائه، لا يؤاخذ العاصي إذا تاب، بل يغفر له، فإذا تابت المرأة عن نشوزها فأنتم أولىٰ أن تقبلوا توبتها وتتركوا معاقبتها.

الخامس: أنه تعالىٰ، مع علوّه وكبريائه، اكتفىٰ من العبد بالظواهر، ولم يهتك السرائر، فأنتم أولىٰ أن تكتفوا بظاهر حال المرأة، وأن لا تقعوا في التفتيش عما في قلبها وضميرها من الحب والبغض.(٥)

ويقول القرطبي: في قوله تعالىٰ: ﴿*إن الله كان علياً كبيراً*﴾ إشارة إلىٰ الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب: أي إن كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله، فيده بالقدرة فوق كل يد، فلا يستعلي أحد علىٰ امرأته فالله بالمرصاد: فلذلك حَسُن الاتصافُ هنا بالعلوّ والكِبْر.(٦)

من لا يضرب خير ممن يضرب

ثم لنتأمل الزوج الأسوة لنا، ﷺ، فهو لم يضرب أياً من زوجاته قط، وشنّع علىٰ من يضرب زوجته في النهار ثم لا يستحي أن يجامعها في الليل. يقول ﷺ: «***أيضرب أحدكم امرأته كما يُضرب العبد. . ثم يضاجعها في آخر اليوم***» يعني أنه إذا لم يكن بُدٌّ للرجل من هذا الاتصال الخاص بامرأته، وهو أقوىٰ وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر، وقد قضت به الفطرة: فكيف يليق به بعدئذ أن يجعل امرأته، وهي مثل نفسه: مهينة كمهانة عبده يضربها بسوطه أو بيده، فالرجل الكريم يأبىٰ عليه طبعه مثل هذا الجفاء.(٧)

ولقد فضّل ﷺ الذين لا يضربون زوجاتهم علىٰ الذين يضربونهن:

فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: كنا معشر قريش تملك رجالُنا نساءَهم. فقدمنا المدينة فوجدنا نساءَهم تملك رجالهم، فاختلطت نساؤنا بنسائهم فذئرن علىٰ أزواجهن، أي نشزن واجترأن، فأتيتُ النبي ﷺ فقلت له: ذئرت النساء علىٰ أزواجهن، فَأْذَنْ في ضربهن، فطاف بحجر نساء النبي ﷺ جمعٌ من النسوان كلهن يشكون أزواجهن، فقال ﷺ: «***لقد أطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون أزواجهن. . ولا تجدون أولئك خياركم***». ومعناه أن الذين ضربوا أزواجهم ليسوا خيراً ممن لم يضربوا. قال الشافعي: فدلّ هذا علىٰ أن الأوْلىٰ ترك الضرب.[8]

والزوج الناشز يضرب بالعصا

بل أكثر من هذا: فإن الإمام مالك ليقرر بأن المرأة إذا اشتكت نشوزاً من زوجها، وإعراضاً عنها، لها أن ترفع الأمر إلىٰ القاضي: فالقاضي يعظه، فإن اتعظ انتهىٰ الأمر، فإن لم يُجْدِ الوعظ أمر لها بالنفقة ومنعها من الطاعة!. . وأجاز لها أن تهجره وألا تذهب إلىٰ بيته. فإن أجداه هذا انتهىٰ الأمر، فإن لم يُجْدِه عزّره بالضرب. . فإن لم يُجْدِ هذا كان التفريق: (***وإن يتفرقا يُغن الله كُلًّا من سعته***). وهذه الحقوق التي قررها الإمام مالك هي في نظير الحقوق المذكورة في القرآن للرجل، وهي قوله: ﴿***فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن***﴾. بيد أن هناك خلافاً: ذلك أن الضرب الذي أجازه القرآن للرجل هو ضرب الموّدة، هو الضرب غير المبرّح وغير المشين، لا يلطمها علىٰ وجهها مثلاً. . أما الضرب الذي يضربه القاضي. . فبالعصا!. .[9]

استصحـاب المعـاني السابقة كلها؛ واستصحاب الهدف من هذه الإجراءات كلها؛ يمنع أن يكون هذا الضرب للانتقام والتشفي، ويمنع أن يكون للإذلال والتحقير. ويمنع أن يكون أيضاً للقسر والإرغام علىٰ معيشة لا ترضاها الزوجة.. ويحدد أن يكون ضرب تأديب، مصحوباً بعاطفة المؤدب المربي، كما يزاوله مع أبنائه، وكما يزاوله المربي مع تلميذه..

بعض النساء تريده كذلك

ومعروف ـ بالضرورة ـ أن هذه الإجراءات كلها لا موضع لها في حالة الوفاق بين الشريكين في المؤسسة الخطيرة، وإنما هي لمواجهة خطر الفساد والتصدع. فهي لا تكون إلا وهناك انحرافٌ ما.. هو الذي تعالجه هذه الإجراءات..

وحين لا تجدي الموعظة، ولا يجدي الهجر في المضاجع.. لا بد أن يكون هذا الانحراف من نوع آخر، ومن مستوىٰ آخر، لا تجدي فيه الوسائل الأخرىٰ.. وقد تجدي فيه هذه الوسيلة!

وشواهد الواقع، والملاحظات النفسية، علىٰ بعض أنواع الانحراف، تقول: إن هذه الوسيلة تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين، وإصلاح سلوك صاحبه.. وإرضائه.. في الوقت ذاته!

فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب نفسها أن تجعله قيّماً وترضىٰ به زوجاً، إلا حين يقهرها عضلياً! وليست هذه طبيعة كل امرأة. ولكن هذا الصنف من النساء موجود. وهو الذي قد يحتاج إلىٰ هذه المرحلة الأخيرة.. ليستقيم.. ويُبقي علىٰ المؤسسة الخطيرة.. في سلم وطمأنينة!

وعلىٰ أي حال، فالذي يقرر هذه الإجراءات، هو الذي خلق. وهو أعلم بمن خلق. وكل جدال بعد قول العليم الخبير مهاترة؛ وكل تمرد علىٰ اختيار الخالق وعدم تسليم به، مُفْضٍ إلىٰ الخروج من مجال الإيمان كله..

وهو سبحانه ـ يقررها، في جو وفي ملابسات تحدد صفتها، وتحدد النية المصاحبة لها، وتحدد الغاية من ورائها. بحيث لا يحسب علىٰ منهج الله تلك المفهومات الخاطئة للناس في العهود الجاهلية، حين يتحول الرجل جلّاداً ـ باسم الدين! ـ وتتحول المرأة رقيقاً ـ باسم الدين! ـ أو حين يتحول الرجل امرأة، وتتحول المرأة رجلاً، أو يتحول كلاهما إلىٰ صنف ثالث مائع بين الرجل والمرأة ـ باسم التطور في فهم الدين ـ فهذه كلها أوضاع لا يصعب تمييزها عن الإسلام الصحيح ومقتضياته في نفوس المؤمنين!

وقد أبيحت هذه الإجراءات لمعالجة أغراض النشوز ـ قبل استفحالها ـ وأحيطت بالتحذيرات من سوء استعمالها، فور تقريرها وإباحتها.[١٠]

٧٩٪ من الأميركيين يضربون زوجاتهم

ولعل تحرير الإسلام للمرأة من الزوج الضارب، يزداد تأكداً وظهوراً، حين نطلع علىٰ المجتمعات التي يغيب الإسلام عنها وعن أفرادها: فنرىٰ كم من الرجال يضربون زوجاتهم، وكيف يضربونهن، ويتعالون عليهن، ويلحقون بهن الأذىٰ المفضي إلىٰ الموت أحياناً.

دراسة أميركية جرت في عام ١٤٠٧ (١٩٨٧م)، أشارت إلىٰ أن ٧٩٪ من الرجال يقومون بضرب النساء، بخاصة إذا كانوا متزوجين منهن. وكانت الدراسة قد اعتمدت علىٰ استفتاء أجراه د. جون بيرير الأستاذ المساعد لمادة علم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبة الجامعة.

وقد أشارت الدراسة إلىٰ أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عال جداً. فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة.. فلا شك في أنه أعلىٰ نسبة بين من هم دونهم تعليماً.[١١]

وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية: جاء أن ١٧٪ من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف: هن ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء. وأن ٨٣٪ دخلن المستشفيات سابقاً، مرة علىٰ الأقل، للعلاج من جروح وكدمات أصِبن بها: كان دخولهن نتيجة للضرب.

وقال إفان ستارك معدّ هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلًا للنساء في المستشفيات: «إن ضرب النساء في أميركا: ربما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تصاب بها النساء، وأنها تفوق حتىٰ ما يلحق بهن من أذىٰ نتيجة حوادث السيارات والسرقة والاغتصاب مجتمعة».

وأكدت الدكتورة آن فليتكرافت التي ساهمت في وضع الدراسة أن «ضرب النساء هو إحدىٰ حقائق المجتمع الأميركي.. ومشكلة اجتماعية واسعة الانتشار».

وقالت جانيس مور، وهي منسقة في منظمة «الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي» ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلىٰ حد هائل، فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة: مما يؤدي إلىٰ دخول عشرات الآلاف منهن إلىٰ المستشفيات للعلاج.

وأضافت: إن نوعية الإصابات تتراوح بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام، وحروق وجروح وطعن بالسكين وجروح الطلقات النارية، وبين ضربات أخرىٰ بالكراسي والسكاكين والقضبان المحماة.

وأشارت إلىٰ أن الأمر المرعب، هو أن هناك نساء أكثر: يصبن بجروح وأذىٰ علىٰ أيدي أزواجهن.. ولكنهن لا يذهبن إلىٰ المستشفىٰ طلباً للعلاج: بل يضمدن جراحهن في المنزل.

وقالت جانيس مور: «إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن، كل عام، يصل إلىٰ ستة ملايين امرأة. وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفدرالي، ومن مئات الملاجىء التي توفّر المأوىٰ للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن».

مائة ألف ألمانية يضربهن الرجال سنويا

وذكرت دراسة ألمانية أن ما لا يقل عن مائة ألف امرأة تتعرض سنوياً لأعمال العنف الجسدي أو النفساني التي يمارسها الأزواج، أو الرجال الذين يعاشرونهن، مع احتمال أن يكون الرقم الحقيقي يزيد علىٰ المليون.

وقالت الدراسة أن الأسباب المؤدية إلىٰ استخدام العنف هي البطالة

زمناً طويلاً، والديون المالية، والإدمان علىٰ المشروبات الكحولية، والغيرة الشديدة.

وقد وضعت الوزارة الألمانية الاتحادية لشؤون الشبيبة والأسرة والصحة مشروعاً لتقديم المساعدة من قبل منظمة خيرية.. علىٰ أن يتم ذلك خلال عامين.[١٢]

وفي فرنسا تتعرض حوالي مليوني امرأة للضرب. وأمام هذه الظاهرة، التي تقول الشرطة إنها تشمل حوالي عشرة في المائة من العائلات الفرنسية، أعلنت الحكومة أنها ستبدأ حملة توعية لمنع أن تبدو أعمال العنف هذه كأنها ظاهرة طبيعية.

وقالت أمينة سر الدولة لحقوق المرأة ميشال أندريه: حتىٰ الحيوانات تعامل أحياناً أحسن منهن. فلو أن رجلًا ضرب كلباً في الشارع فسيتقدم شخص ما بشكوىٰ إلىٰ جمعية الرفق بالحيوان. ولكن إذا ضرب رجل زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد».

وأضافت في تصريح إلىٰ وكالة فرانس برس: يجب إفهام الجميع بأن الضرب مسألة تطالها العدالة. أريد أن يتم التوقف عن التفكير بأن هذا الأمر عادي.

وتابعت: إن عالمنا يقرّ بأن هنالك مسيطِراً ومسيطَراً عليه. إنه منطق يجب إيقافه.

ونقلت صحيفة «فرانس سوار» عن الشرطة، في تحقيق نشرته حول الموضوع: أن ٩٢,٧٪ من عمليات الضرب التي تتم بين الأزواج تقع

في المدن. وأن ٦٠٪ من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل.. هي نداءات استغاثة من نساء يسيء أزواجهن معاملتهن.

وذكرت أمانة سر الدولة لحقوق المرأة أن هنالك أنواعاً من العنف الذي يمارس علىٰ النساء، منها معنوي (تهديدات وإهانات) ومنها جسدي (ضرب).

ولاحظت جمعية (نجدة النساء اللواتي يتعرضن للضرب) أن النساء اللواتي تستقبلهن تتراوح أعمارهن بين ٢٥ و ٣٥ سنة، ولهن ما معدله طفلان، ومستواهن التعليمي متدنٍ. وهن غالباً معزولات عن عائلاتهن أو جيرانهن. وكثيراً ما أدت ذريعة مثل: المرض، أو إدمان الكحول، أو البطالة.. إلىٰ تفاقم العنف الذي يمارس أساساً عليهن. ولكن قليلات من الضحايا يجسرن علىٰ فضح عمليات العنف هذه بسبب الخوف من الانتقام أو بسبب نقص الشجاعة.[١٣]

زوجات القضاة والأدباء يضربن أيضا

وقالت سيدة تبلغ من العمر ٢٥ عاماً، تحمّلت عامين من ضرب زوجها لها، قبل أن تترك المنزل: في فرنسا لا نتحدث عن حياتنا الزوجية، فلا يمكن لأحد أن يأتمن أصدقاءه أو جيرانه أو أي أحد علىٰ أسراره الشخصية.

لقد شبه الكاتب الفرنسي (إلكسندر دوما) ذات يوم الفرنسيات بشرائح اللحم فقال: كلما ضربتهن.. أصبحن أكثر طراوة![١٤]

وفي بريطانيا: تقــود جوان جونكلر حملة ضد العنف والاعتــداء الجســدي: فخلال ١٢ عاماً مضت، قامت بتقديم المساعدة لآلاف الأشخاص من الذين تعرضوا لحوادث اعتداء إما في البيت أو في الشارع. وقد جمعت تبرعات بقيمة ٧٠ ألف جنيه استرليني لإدارة ملاجىء يقيم فيها ضحايا الاعتداء الذين لا يستطيعون العودة إلىٰ البيت، والتغلب علىٰ مشاعر الخوف والقلق بعد حوادث الاعتداء. وذكرت مجلة «الويك إند» البريطانية أن جوان نفسها كانت إحدىٰ ضحايا الاعتداء.[١٥]

وفي مدينة امستردام في هولندا، عقدت ندوة اشترك فيها مائتا عضو، يمثلون إحدىٰ عشرة دولة. وكان موضوع الندوة «إساءة معاملة المرأة في العالم أجمع». واتفق المؤتمرون علىٰ أن المرأة مضطهدة في جميع المجتمعات الدولية.

وتوصلت الندوة إلىٰ أن نسبة التعيسات في العالم أكثر بكثير مما نتصور: لأن من طبع المرأة ألا تظهر ألمها إلا إذا بلغ بها اليأس كل مبلغ، ولذا أنشئت مراكز اجتماعية معينة للهاربات من بطش أزواجهن.

والمراكز الاجتماعية هذه أسست حديثاً، وكان أولها في مدينة مانشيستر في انكلترا عام ١٩٧١، ثم عمّت هذه المراكز أنحاء بريطانيا حتىٰ بلغ عددها ١٥٠ مركزاً. وفي ألمانيا الغربية ١٠ مراكز من هذا النوع، وكذلك في هولندا ونيوزيلندا. وقد طرح موضوع إنشاء مثل هذه المراكز في جميع أنحاء العالم.

إحدىٰ المشتركات في الندوة قالت: إن مسألة إيذاء الزوجات متفشية في كل المجتمعات، وحتىٰ زوجات القضاة والأطباء يلقين الأذىٰ علىٰ

أيدي أزواجهن، والسلطات غافلة عن هذه المشكلة المأساوية.

وفي استفتاء أجرته إحدىٰ المجلات الإنكليزية حول قضية إساءة معاملة الزوجات: ظهر أن ١٠٪ من المشتركات في الاستفتاء يضربهن أزواجهن كثيراً، وأن ٧٠٪ منهن يشعرن بالمهانة في حياتهن الزوجية.

وقد درس المؤتمر إحدىٰ القضايا المؤلمة التي تتعلق برجل في الأربعين من عمره: يضرب زوجته بعصا غليظة كتب عليها العبارة التالية: «من لا تطع زوجها.. تستحق العقاب».[١٦]

وبعضهم يحرقها بالسجائر ويكبلها بالسلاسل

وأظهر استطلاع، نُشرت نتائجه في بريطانيا، تزايد العنف ضد النساء. ففي استطلاع شاركت فيه سبعة آلاف امرأة: قالت ٢٨٪ من المشاركات إنهن تعرضن لهجوم من أزواجهن أو أصدقائهن.

وحسب تقدير للوكالة الأميركية المركزية للفحص والتحقيق .F.P.T فإن هناك زوجة يضربها زوجها كل ١٨ ثانية في أميركا.

وكتبت جريدة Paychology Today أن امرأة من كل عشر نسوة يضربها زوجها: فعقّبت عليها جريدة أخرىٰ هي Family Relation بقولها: لا، بل واحدة من كل امرأتين تتعرض للظلم والعدوان من قبل زوجها!.

ويفيد تقرير بريطاني أن الزوج يضرب زوجته دون أن يكون هناك سبب يبرر الضرب، ويشكل هذا نسبة ٧٧٪ من عمليات الضرب.

ويستفاد من التقرير نفسه أن امرأة ذكرت أن زوجها ضربها ثلاث سنوات ونصف السنة منذ بداية زواجها. وقالت: لو قلت له شيئاً إثر ضربي.. لعاد إلىٰ الضرب ثانية.. ولذا أبقىٰ صامتة. وهو لا يكتفي بنوع واحد من الضرب: بل يمارس جميع أنواع الضرب من اللطمات واللكمات والركلات والرفسات وضرب الرأس بعرض الحائط. ويحكي التقرير عن امرأة أَدْنَتْ أذنها إلىٰ زوجها فضربها ضربة انصدع منها صمام الأذن.

ولا يبالي الزوج إذا وقعت لكماته أو ركلاته في أعضاء من الجسد ذات حساسية زائدة. وربما تكون المرأة حاملاً وهو لا يكترث لذلك، فيركل برجله في بطنها فيسقط حملها. وقد وقعت عدة أحداث بالفعل من هذا النوع. كما انكسرت أضلاع عدد من النساء نتيجة الضرب. وقد يبلغ الأمر ببعض الرجال إلىٰ حد يمسكون فيه بأعناقهن ثم يضيقون عليهن الخناق. ويجنّ جنون بعضهم فيحرقها بالسجائر، أو يكبلها بالسلاسل والأغلال ثم يغلق عليها الباب.»[١٧]

تختبىء عدة ليال في قن البط

وفي الصين: نشرت صحيفة «العمال» اليومية نبأ إعدام مسؤول صغير بتهمة الاعتداء على فتيات، وتعذيب زوجته بالسجائر والكهرباء والإبر والأحزمة.

ونشرت صحيفة تشوانغ منغ المحلية رسالة كتبتها «تشاي جيانكسيونغ» وهي طبيبة في مقاطعة شانكسي وصفت فيها كيف ضربها زوجها علىٰ

وجهها ومعدتها وأطرافها. . لأنها رفضت الموافقة على الطلاق. وعولجت في المستشفىٰ من إصابات خارجية وداخلية خطيرة. ثم حاولت والدة الزوج طردها من المستشفىٰ. وقد حدث ذلك دون أن يعاقب الزوج.

وفي قضية أخرىٰ: قام رجل بكسر ذراع زوجته في أثناء شجار بينهما. ولم تجرؤ الزوجة علىٰ البقاء في المنزل، واضطرت إلىٰ قضاء عدة ليال في قن البط.

وكتبت إحدىٰ الزوجات إلىٰ مجلة «النساء» في الصين تشكو من سوء معاملة زوجها وأفراد أسرته الذين يقيمون معها في منزل واحد، وتحكي كيف ضربها زوجها لأنها رفضت أن تعطي والديه مبلغاً من المال يعادل عشرة دولارات.

وفي الصين لا توجد مراكز للزوجات اللواتي يتعرضن للضرب، ويلجأن في العادة إلىٰ اللجان الاجتماعية القريبة، أو إلىٰ فروع الاتحاد النسائي، وفي بعض الحالات إلىٰ المحاكم.

ولكن المرأة الصينية تخاف في الأغلب من تحدي زوجها، وتخجل من طلب المساعدة.[١٨]

وضرب يؤدي إلى الموت

وفي كندا مائة وخمسون ألف كندي يضربون زوجاتهم. والمؤسسات الاجتماعية والثقافية في البلاد تعتبر الأمر فضيحة. و«***التجمع الذكوري ضد العنف العائلي***» أنشيء خصيصاً في مونتريال للحد من عمليات ضرب النساء. وقد وضع في تصرف الرجال السريعي الغضب خط هاتفي، علىٰ

مدىٰ ٢٤ ساعة، يتصل به الزوج ليفرغ غضبه إلىٰ الطرف الآخر. لعل هذا يغنيه عن ضرب زوجته.

ونشرت مجلة «التايم» الأميركية أن حوالي أربعة آلاف زوجة، من حوالي ستة ملايين زوجة مضروبة، تنتهي حياتهن نتيجة ذلك الضرب.

وأشار خبر نشره مكتب التحقيقات الفدرالية جاء فيه أن أربعين في المائة من حوادث قتل السيدات ارتكبها أزواجهن.

وأشار أيضاً إلىٰ دراسة جرت في أحد المستشفيات الأميركية الكبيرة، واستغرقت أربع سنوات، وجاء فيها أن ٢٥٪ من محاولات الانتحار التي تقدم عليها الزوجات يسبقها تاريخ من ضرب الأزواج لهن. أي أنهن لا يجدن نجاة من هذا الضرب.. إلا في الانتحار.

شلت يميني يوم أضرب زينبا

هكذا يضرب غير المسلمين زوجاتهم، دون قيد، ودون حساب، ولأتفه الأسباب! فأين هم من الإسلام الذي جعل الضرب الوسيلة الأخيرة في الإصلاح، «ضرب لا يقصد منه الإيلام وإطفاء الغيظ، بقدر ما يقصد منه إعلان الأسف، وعدم الرضا بالسلوك. ولذا ورد النص مطلقاً في قوله تعالىٰ: ﴿واضربوهن﴾. أي أدنىٰ ما يتحقق به مفهوم الضرب. فهو ضرب تأديب وإصلاح - كما يقول المفسرون - وضرب تقويم وعلاج، وليس ضرب إيلام وإزعاج. وجاءت أقوال الفقهاء في تحديد آلة الضرب بنحو السواك، وباجتناب ضرب الوجه، ومواطن الضرر. وإذا ترتب علىٰ الضرب ضررٌ ما، كالذي يترك أثراً، فإنه يكون مضموناً علىٰ الزوج،

مستحقاً به التعزير الكافي والتغريم . . بحسب ما يراه الحاكم كافياً» .

«فالضرب المؤذي مرفوض، وغير مقبول شرعاً، بل هو من التجاوزات التي يعزّر عليها الشارع، ويكون للمرأة بسببها طلب التفريق من الزوج، قضاء، وإذا ثبت في المحاكم أرغم القاضي الزوج المسرف على طلاق زوجته، وإن لم يطلقها: طلقها القاضي عليه، وفرق بينه وبينها بحكمه» .

ومن يرجع إلىٰ صحيح مسلم مثلاً، وغيره، يجد أن الضرب ورد في حال معينة، وهي حال الانحراف في سلوك الزوجة، في بيت الزوجية، وقد ورد الضرب في هذه مقيداً أيضاً بعدم الشدّة:

وذلك أن النبي ﷺ ـ لما حج حجة الوداع ـ وقف يوم عرفة، وخطب الناس، وهو علىٰ ناقته القصواء، بعد أن استنصت الناس، واستشهد اليوم والزمان والمكان، ولخّص للناس أمهات شريعتهم، فكان في ما قال لهم: ***«اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح»***.

«وفسّر المحدثون الضرب غير المبرّح، بأنه ضرب غير شديد ولا شاق، ولا يكون الضرب كذلك إلا إذا كان خفيفاً، وبآلة خفيفة، كالسواك ونحوه، إذ لم يكن القصد فيه إلىٰ البطش والتعذيب، ولكن إلىٰ التأديب والزجر، والتربية والتوجيه . . ومع ذلك قال الشاعر العربي القديم:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم
فشلّت يميني يوم أضرب زينبا

ولم يرد في الشريعة ضرب النساء، إلا في هذه المناسبة، وهي مناسبة خطيرة في الحياة الزوجية، وكان الضرب تعزيراً وتأديباً، وكان آخر مراحل التأديب والتعزير، ومما تستوجبه طبيعة الحياة الزوجية، وتفرضه التزاماتها.

أين الغربيون والشرقيون من خير الأزواج؟

والذي يمثل وجه الشريعة، وخطها العريض، ومنهاجها المستقيم في الصلة بالنساء، هو المعاشرة بالمعروف، والصبر عليهن، والتوصية بهن، وتقوىٰ الله فيهن.

اسمع قول الله تعالىٰ: ﴿***وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسىٰ أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً***﴾.

وكذا قول النبي ﷺ: «***لا يفرك - أي لا يكره - مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، أعجبه منها خلق آخر***».

بل جعل النبي ﷺ خير الرجال خلقاً، خيرهم في عشرة أهله وصحبتهم، وقال: «***خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله***». ويروى بلفظ: «***خيركم خيركم للنساء***» وهذه رواية الحاكم عن ابن عباس. والأولىٰ رواية الترمذي وغيره عن عائشة وابن عباس ومعاوية - رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس عشرة لأهله، حتىٰ أنه كان يرسل بنات الأنصار إلىٰ عائشة يلعبن معها، وكان إذا شربت شرب موضع فمها، وأراها الحبشة وهم يلعبون في المسجد: وهي متكئة على منكبه،

وسابقها مرتين في السفر: فسبقها وسبقته، ثم قال: هذه بتلك. وكان يداعب نساءه ويباسطهن.

وجاء في الحديث: «**_لا يظلمهن إلا لئيم، ولا يكرمهن إلا رحيم، فأحب أن أكون رحيماً مظلوماً، ولا أحب أن أكون لئيماً ظالماً_**».

فهذا خلق الزوج، وهذا نموذج عشرة النساء [19]

فأين هؤلاء الغربيون والشرقيون، الذين يضربون زوجاتهم: من خير الأزواج ﷺ ؟!!



(١) قال ابن كثير في تعريف النشوز: في معرض تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿**_واللاتي تخافون نشوزهن_**﴾: (أي والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن. والنشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة علىٰ زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له. فمتىٰ ظهر منها أمارات النشوز. . فليعظها، وليخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته. . وحرّم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال) المجلد الأول ـ ص ٤٩٢.

(٢) التفسير الكبير - ج ١٠ - ص ٩٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ - ص ١٧٢، ١٧٣.

(٤) التفسير الكبير - ج ١٠ - ص ٩٠.

(٥) التفسير الكبير - ج ١٠ - ص ٩١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ - ص ١٧٣.

(٧) تفسير المراغي - ج ٥ - ص ٣٠.

(٨) التفسير الكبير - ج ١٠ - ص ٩٠.

(٩) الشيخ محمد أبو زهرة - نقلاً عن كتاب منهاج الصالحين - ص ٣٤٥.

(١٠) في ظلال القرآن - ج ٥ - ص ٦٥٤، ٦٥٥.

(١١) جريدة «القبس» ١٥/٢/١٩٨٨.

(١٢) جريدة «الرأي العام» ٢٨/٥/١٩٩٠.

(١٣) وكالة الأنباء الفرنسية.

(١٤) جريدة «الأنباء» ٢١/٢/١٩٨٨.

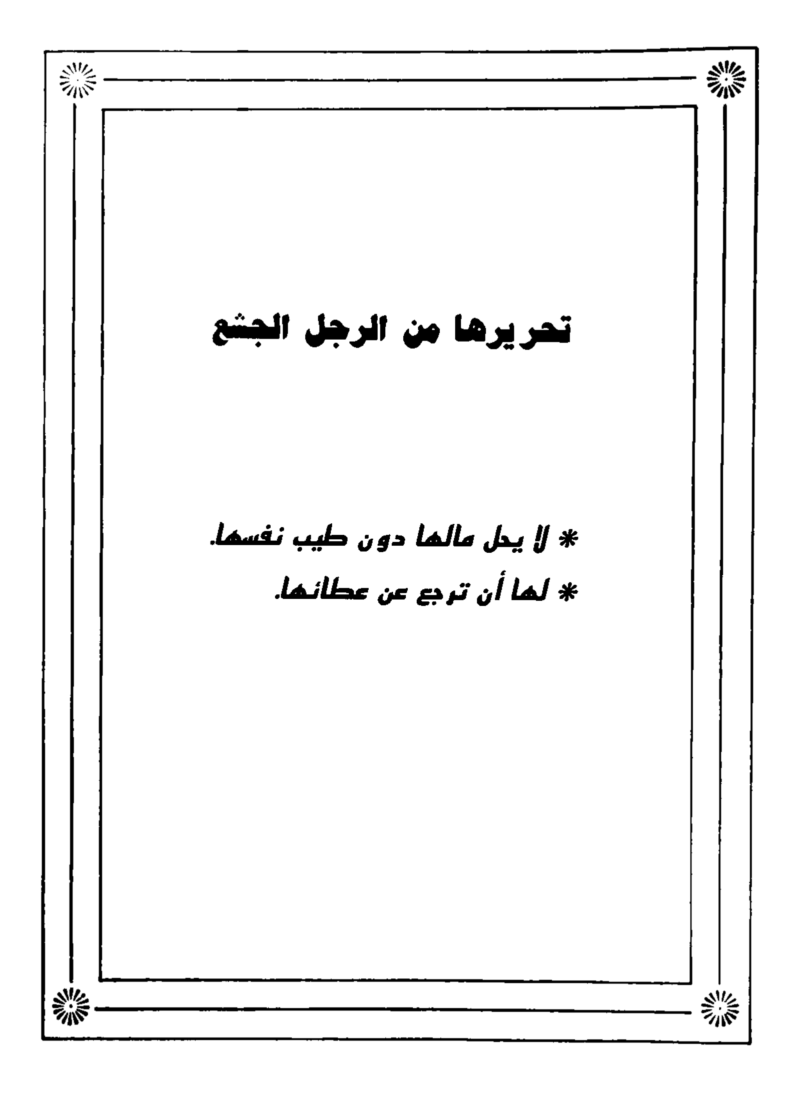
(١٥) جريدة «الوطن» العدد ٤٧١٨.

(١٦) جريدة «الرأي العام» ٤/٧/١٩٧٨.

(١٧) مجلة الرائد الهندية ٢٩/صفر/١٤١٠هـ .

(١٨) جريدة «الوطن» العدد ٣٨٢٣.

(١٩) د. محمد فوزي فيض الله - جريدة «الأنباء» ١٥/٦/١٩٩٠.



تحريرها من الرجل الجشع

* لا يحل مالها دون طيب نفسها.
* لها أن ترجع عن عطائها.

تحريرها من الرجل الجشع

الإسلام يحرر المرأة من جشع الزوج، من طمعه في مالها، ويضع أمامه خطوطاً حمراء يمنعه من تجاوزها.

يحررها حين يحفظ لها جميع حقوقها المالية، ويصونها من أن تمتد إليها يد الزوج، إذا لم تكن راضية كل الرضا.

يحررها، حين يمنع زوجها، من أن يأخذ من مهرها، إذا لم تطب نفسها بهذا الأخذ.

ويحررها حين يمنع وليّها، سواء أكان أباها أو أخاها أو غيرهما، من أن يأخذ من مهرها، أو أي قدر من مالها، بدون رضاها.

لا يحل مالها دون طيب نفسها

تعالوا نتلوا قوله تعالىٰ في سورة النساء:

﴿***وآتوا النساء صدقاتهن نحلة: فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً: فكلوه هنيئاً مريئاً***﴾ النساء ٤.

ولنتأمل في المعاني والدلالات التالية:

ـ الخطاب موجه لمن في قوله تعالىٰ: ﴿*وآتوا النساء*﴾؟ هناك قولان: إن هذا خطاب لأولياء النساء، وذلك لأن العرب كانت في الجاهلية لا

تعطي النساء من مهورهن شيئاً، ولذلك كانوا يقولون لمن وُلدت له بنت: هنيئاً لك النافجة، ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلاً فتضمها إلىٰ إبلك: فتنفج مالك: أي تُعظمه. وقال ابن الأعرابي: النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان إذا زوّج ابنته، فنهىٰ الله تعالىٰ عن ذلك، وأمر بدفع الحق إلىٰ أهله، وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة.

القول الثاني: إن الخطاب موجه للأزواج، أُمروا بإيتاء مهورهن. وهذا قول علقمة والنخعي وقتادة واختيار الزجاج، قال لأنه لا ذكر للأولياء هنا، وما قبل هذا الخطاب للناكحين، وهم الأزواج، وهو قوله تعالىٰ: ﴿***فانكحوا ما طاب لكم من النساء***﴾.

ـ قال القفال رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد من الإيتاء المناولة، ويحتمل أن يكون المراد الالتزام. قال تعالىٰ: ﴿***حتىٰ يعطوا الجزية عن يد***﴾ والمعنىٰ حتىٰ يضمنوها ويلتزموها، فعلىٰ هذا الوجه الأول: كأن المراد أنهم أمروا بدفع المهور التي قد حددوها لهن. وعلىٰ التقدير الثاني: كأن المراد أن الفروج لا تستباح إلا بعوض، سواء حدد ذلك أم لم يحدد. ثم قال ـ أي القفال ـ رحمه الله: ويجوز أن يكون الكلام جامعاً للوجهين معاً.[1]

ثم نلاحظ هذا التقييد الدقيق علىٰ الرجال في أخذ شيء من المهر دون رضا الزوجة الحقيقي: ﴿***فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً***﴾.

يقول الرازي «معنىٰ الآية: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق عن طيبة النفس، من غير أن يكون السبب فيه شكاسة أخلاقكم معهن، أو سوء

معاشرتكم معهن، فكلوه وأنفقوه.

وفي الآية دليل علىٰ المسلك في هذا الباب، ووجوب الاحتياط، حيث بنىٰ الشرط علىٰ طيب النفس فقال: ﴿فإن طبن﴾ ولم يقل: وهبن أو سمحن: إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة» .[٢]

لها أن ترجع عن عطائها

فما أعظم إكرام المرأة في تضييق المسلك علىٰ الرجل: في أن يأخذ شيئاً من المهر، بدعوىٰ أن زوجته موافقة، وراضية، (واذهبوا واسألوها)، وقد يذهبون ويسألونها، وتعلن المسكينة رضاها، رغبة في وعد لزوجها أو رهبة منه، ونفسها ليست طيبة في هذا الأخذ، وزوجها يعلم بعدم طيبة نفسها، وهذا يعني أن ما أخذه محرم عليه. ولهذا أجاز كثير من العلماء للمرأة أن ترجع عن هبتها شيئاً من مهرها وأن تسترده، لأنه يُعلم من هذا أنها لم تطب عنه نفساً.

عن الشعبي أن امرأة جاءت مع زوجها إلىٰ شُريح القاضي وهي تطلب الرجوع عن عطية أعطتها إياه، فقال شُريح: رُدّ عليها. فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿فإن طبن لكم عن شيء﴾، فقال شُريح: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه.

وحكى (أي الشعبي) أن رجلاً من آل أبي معيط أعطته أمرأته ألف دينار صداقاً كان لها عليه، فلبث شهراً ثم طلقها، فخاصمته إلىٰ عبد الملك بن مروان، فقال الرجل: أعطتني طيّبةً به نفسها، فقال عبدالملك: فإن الآية التي بعدها: ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ (النساء ٢٠) اردد عليها.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه أنه كتب إلىٰ قضاته: إن النساء يعطين رغبة ورهبة، فأيما امرأة أعطته ثم أرادت أن ترجع فذلك لها.[٣]

وأيم الله إنها لحماية مُحْكَمة لحق من حقوق المرأة المالية، تحول دون تحايل الرجل، ومكره، حيث لا يجوز له «أن يأكل شيئاً من مال امرأته إلا إذا علم أن نفسها طيبة به. فإذا طلب منها شيئاً، وحملها الخوف أو الخجل علىٰ إعطاء ما طلب فلا يحل له، ألا ترىٰ أن الله تعالىٰ نهىٰ عن أخذ شيء من المرأة في طور المفارقة فقال: ﴿***وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً***﴾ فالتحذير من أخذه في طور الرغبة والتحبب، وإظهار القدرة علىٰ ما يجب عليه من أعباء الزوجية: من كفالة المرأة والإنفاق عليها، يكون أشد وآكد، ولكن حب المال جعل الرجال يماكسون في المهر كما يماكسون في سلع التجارة»[٤]

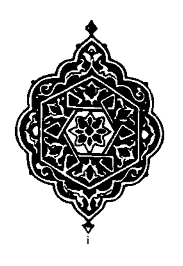
ولو تأملنا قليلًا، في ما يعنيه هذا كله، فإننا سنجد أن الإسلام يضع في يد المرأة ما يشدّ زوجها إليها، ويجعله يحرص علىٰ مودتها، وبخاصة حين تضطره الحاجة إلىٰ الأخذ من مهرها.

ولن تقتصر مدة هذا التودد، علىٰ ما قبل إقناع الزوج زوجته بإعطائه مهرها أو شيئاً منه، بل سيستمر هذا التودد إلىٰ ما بعد أخذه أيضاً، ففي أي وقت، تستطيع أن تذهب إلىٰ القاضي: شاكية زوجها، بأنه أخذ مهرها: علىٰ غير طيب نفسها. أفليس هذا حماية للزوجة من طمع الزوج، وحماية لها أيضاً من إغضابه لها وإحزانه لقلبها؟!

روي عن علىٰ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إذا اشتكىٰ أحدكم

شيئاً، فليسأل امرأته درهماً من صداقها، ثم ليشتر به عسلاً: فليشربه بماء السماء، فيجمع الله له الهنيء والمريء والماء المبارك.[٥]

هل رأيتم كيف يرىٰ عليّ، كرم الله وجهه، مسترشداً بقوله تعالىٰ: ﴿**فكلوه هنيئاً مريئاً**﴾ أن صداق الزوجة (إذا طابت به نفسها) مع العسل والغيث: شفاء للزوج من المرض!



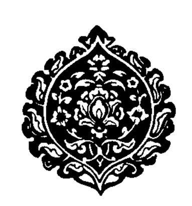
(١) التفسير الكبير - ج ٩ - ١٧٩، ١٨٠ .

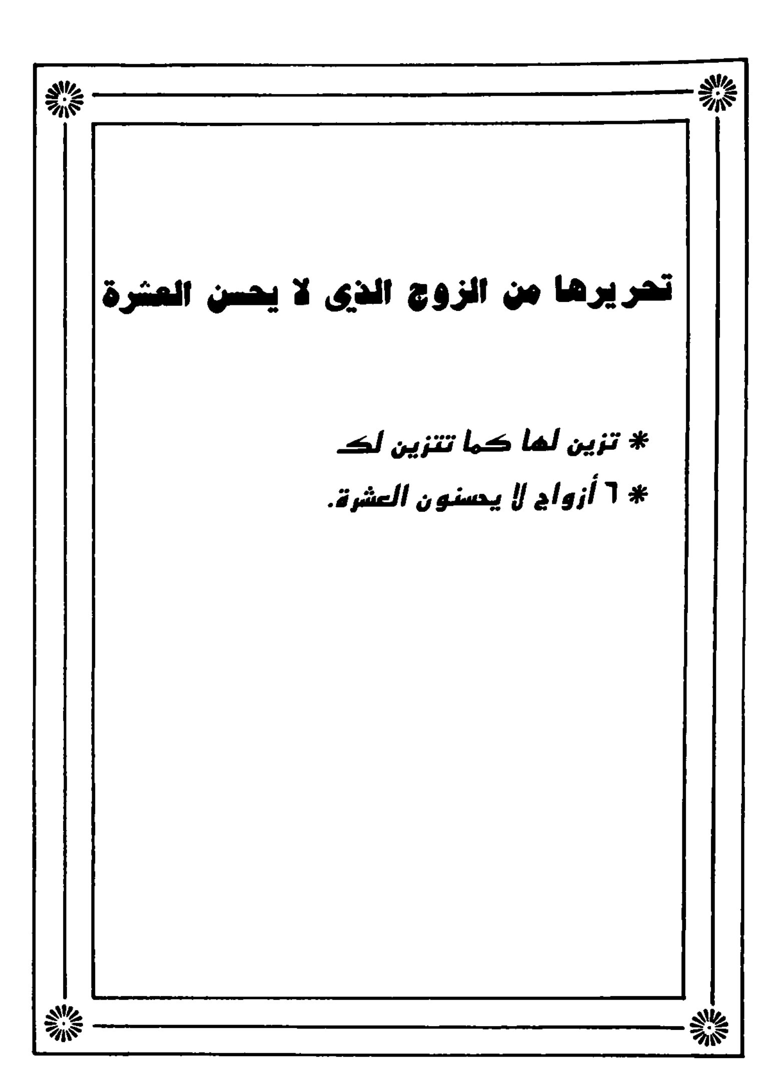
(٢) التفسير الكبير - ج ٩ - ص ١٨٢ .

(٣) التفسير الكبير - ج ٩ - ص ١٨٣ .

(٤) تفسير المراغي - ج ٥ - ص ١٨٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ - ٢٧ .





تحريرها من الزوج الذي لا يحسن العشرة

* تزين لها كما تتزين لك
* ٦ أزواج لا يحسنون العشرة.

تحريرها من الزوج الذي لا يحسن العشرة

من أبلغ التعابير الآمرة بالإحسان إلىٰ الزوجات، والرفق في معاملتهن، والتودد إليهن، والإشفاق عليهن، والرحمة بهن: قوله تعالىٰ في خطاب الأزواج: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ النساء ١٩.

فهو خطاب جامع لكثير من المعاني، حامل لدلالات متعددة، تشير جميعها إلىٰ حرص الإسلام علىٰ المرأة، وإكبار شأنها، ورعاية قلبها.

لقد وقف المفسرون، أو كثير منهم، طويلاً عند هذا الأمر الرباني العظيم، وتحدثوا عن دلالاته ومعانيه.

وأنقل هنا جانباً مما عرضوا له من هذه المعاني والدلالات، ثم نقف عندها قليلاً:

تزين لها كما تتزين لك

يقول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن:

ـ ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ أي علىٰ ما أمر الله به من حسن المعاشرة. والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عِشرة، زوجاً كان أو ولياً، ولكن المراد بهذا الأمر، في الأغلب، الأزواج، وهو مثل قوله تعالىٰ: ﴿**فإمساك بمعروف**﴾. وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها

بغير ذنب، وأن يكون منطلقاً في القول. . لافظاً، ولا غليظاً، ولا مُظهراً ميلاً إلىٰ غيرها. والعِشرة: المخالطة والممازحة؟ فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن؛ لتكون أدمة[1] ما بينهم وصحبتهم علىٰ الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش. وهذا واجب علىٰ الزوج ولا يلزمه في القضاء. وقال بعضهم: هو أن يتصنّع لها كما تتصنع له.

قال يحيىٰ بن عبدالرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية: فخرج إليّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية[2]، فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي[3].

خادم أو خادمان

- «استدل علماؤنا بقوله تعالىٰ: ﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾ علىٰ أن المرأة إذا كانت لا يكفيها خادم واحد أن عليه (**أي علىٰ زوجها**) أن يخدمها قدر كفايتها، كابنة الخليفة والملك، وشِبْههما ممن لا يكفيها خادم واحد، وأن ذلك هو المعاشرة بالمعروف.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يلزمه إلا خادم واحد، وذلك يكفيها خدمة نفسها، وليس في العالم امرأة إلا وخادم واحد يكفيها، وهذا كالمقاتل تكون له أفراس عدة فلا يسهم له إلا لفرس واحد، لأنه لا يمكنه القتال إلا علىٰ فرس واحد. قال علماؤنا (**والكلام للقرطبي**): وهذا غلط: لأن مثل بنات الملوك اللائي لهن خدمة كثيرة لا يكفيها خادم واحد: لأنها

تحتاج من غسل ثيابها وإصلاح مضجعها. . وغير ذلك إلىٰ ما لا يقوم به الواحد، وهذا بيّن، والله أعلم». [٤]

- «كان القوم يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم: **(وعاشروهن بالمعروف)**، قال الزجاج: هو النصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول» [٥]

- «المعروف: أن لا يضربها، ولا يسيء الكلام معها، ويكون منبسط الوجه لها» [٦]

- «قوله تعالىٰ: ***﴿وعاشروهن بالمعروف﴾*** أي طيّبوا أقوالكم لهن، وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله: كما قال تعالىٰ: ***﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾***. وقال رسول الله ﷺ: ***«خيركم خيركم لأهله: وأنا خيركم لأهلي»***. وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله: ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه حتىٰ أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يتودد إليها بذلك. ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلىٰ منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء ينام بالإزار. وكان إذا صلىٰ العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ». [٧]

٦ أزواج لا يحسنون العشرة

وبعد

فإن التأمل في هذه المعاني والدلالات والتوجيهات المفهومة من الأمر الإلهي الحكيم: ﴿*وعاشروهن بالمعروف*﴾، يظهر لنا أن الإسلام يحمي الزوجة من هؤلاء الأزواج:

١ـ الزوج العبوس، المكفهر الوجه، الكثير تقطيب الجبين، القليل التبسم، الذي قلما يعرف البشر طريقه إلىٰ وجهه.

لقد فهمنا من كلام المفسرين: أن مما تعنيه العشرة بالمعروف (**ألا يعبس في وجهها بغير ذنب**) وأن (**يكون منبسط الوجه لها**)، (**دائم البشر**).

٢ـ الزوج الفظ، المتشدد، القاسي في لفظه وتعامله، الذي لا يعرف لسانه كلمات المودة لزوجته.

وهو ما فهمناه أيضاً من كلامهم عن دلالات العشرة بالمعروف وأن منها (أن يكون منطلقاً في القول. . . لافظاً) وأن يحرص علىٰ (الإجمال في القول) أي يختار اللفظ الجميل في محادثة زوجته، (ولا يسيء الكلام معها) و (وأن يطيّب أقواله لها).

٣ـ الزوج الذي لا يراعي مشاعر زوجته، فيستهين بعواطفها، ويثير غيرتها، ويستخف بأحاسيسها، ولا يرفق بها.

لأن مما تقتضيه العشرة بالمعروف أن لا يكون أمامها (***مُظهراً ميلاً إلىٰ غيرها***) لأنه هذا يؤذي قلبها، ويجرح إحساسها، ويؤلم نفسها. بل عليه

أن يكون (دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويضاحكهم، ويسمر معهم) كما كان يفعل ﷺ.

٤ـ الزوج البخيل، فليس من المعاشرة بالمعروف أن يبخل الزوج علىٰ زوجته، ويضيق عليها في النفقة، ويحرمها مما آتاه الله وتفضل به عليه.

وهو أيضاً ما أشار إليه المفسرون في أقوالهم (***توفية حقها من المهر والنفقة***) و(***النصفة في المبيت والنفقة***) و(***يوسعهم نفقة***).

٥ـ الزوج الذي لا يهتم بنظافته وحسن مظهره، فمن مقتضيات العشرة بالمعروف أن يظهر لزوجته بمثل ما يرغب أن تظهر له فيه.

وهو أيضاً ما أكده المفسرون: (***أن يتصنع لها كما تتصنع له***)، (***إنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن***)، (***إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي***).

٦ـ الزوج المثقل علىٰ زوجته بأعمال البيت، المُرْهِق لها بالأعباء، فإن من المعاشرة بالمعروف أن يحضر الزوج لها خادمة واحدة علىٰ الأقل، كما أشار إلىٰ هذا القرطبي في كلامه الذي سبق عرضه.

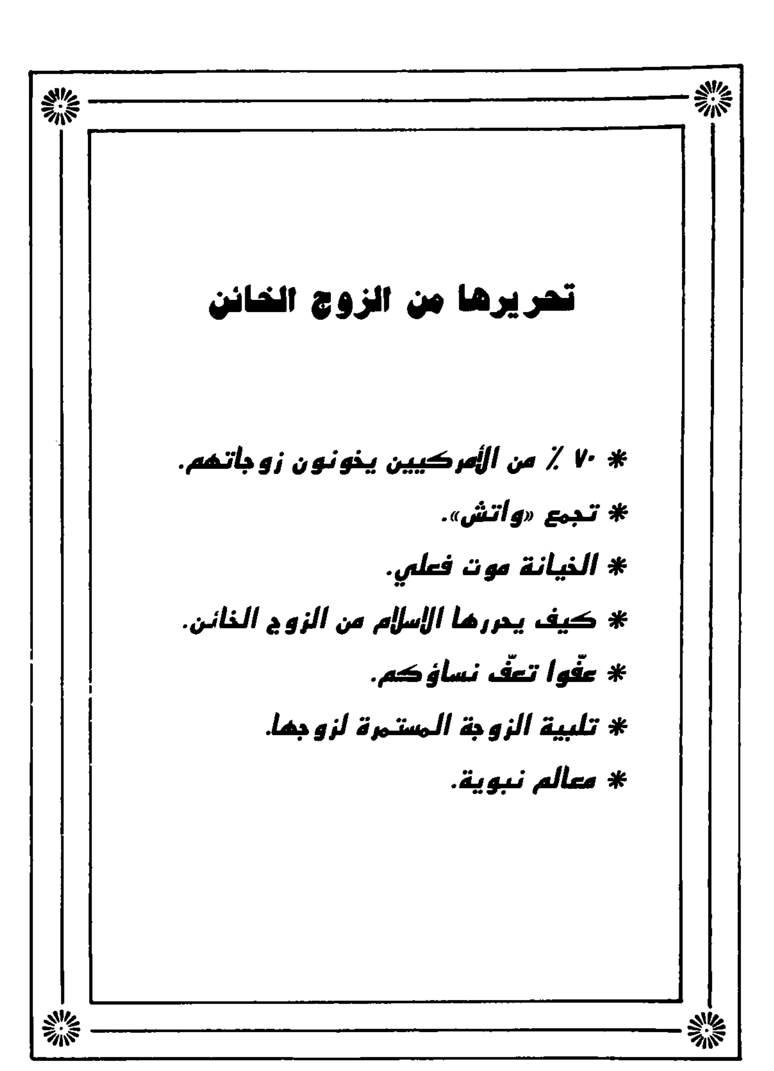
وهكذا يحرر الإسلام الزوجة من مختلف الأزواج الذي لا يحسنون العشرة بالمعروف... ! فأين محررو المرأة الذين أخضعوها لذل الحاجة، ولفظاظة مديرها في العمل، ولإرهاق مضن بها وبصحتها بالعمل خارج البيت وداخله؟!!

أين محررو المرأة... من القرآن العظيم، يحمي المرأة الزوجة من شطط زوجها، وقسوته، وعبوسه، وبخله، وسوء مظهره...؟!

إنها دعوة من أجل تحرير جديد للمرأة بالإسلام، الإسلام الذي يحميها، ويحفظها، ويصونها... بل الذي يدللها، ويرفق بها، ويشدد في التوصية عليها؟



(١) الأدمة: الخلطة.
(٢) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.
(٣) الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ - ص ٩٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن - ج ٥ - ص ٩٧، ٩٨.
(٥) الرازي في التفسير الكبير - ج ١٠ - ص ١٢.
(٦) الألوسي في روح المعاني - المجلد الثاني - ص ٢٤٣.
(٧) ابن كثير في تفسير القرآن العظيم - المجلد الأول - ص ٤٦٦.



تحريرها من الزوج الخائن

* ٧٠ ٪ من الأمركيين يخونون زوجاتهم.
* تجمع «واتش».
* الخيانة موت فعلي.
* كيف يحررها الاسلام من الزوج الخائن.
* عفّوا تعفّ نساؤكم.
* تلبية الزوجة المستمرة لزوجها.
* معالم نبوية.



تحريرها من الزوج الخائن

جُبلت المرأة علىٰ كراهية خيانة زوجها لها: أكثر من كراهية أي أمر آخر.

إنها تكره، وهي ا التي بذلت عافيتها وشبابها وحبها لزوجها، أن ينصرف عنها إلىٰ أخرىٰ، ينفق عليها ماله، ويمضي معها أجمل وقته، ويبذل لها حبه وعاطفته، مهملاً زوجته، مبتعداً عنها، مبغضاً لها.

إنه حقاً عدم وفاء من هذا الزوج الخائن: ينغّص عليها حياتها، ويبعث فيها القلق، ويشيع فيها الهم، ويصبغها بالحزن.

وعدم وفاء الزوج قيد، لأن الزوجة المخلصة الوفية، المحبة لبيتها وأطفالها، لن تستطيع أن تفعل مثل زوجها. لن تقابل خيانته لها بخيانتها له. ستنصرف إلىٰ أولادها تربيهم، وتغدق عليهم حبها وعاطفتها: وهي تحمل في نفسها جرحها النازف. أفليس هذا قيداً؟!

٧٠٪ من الأميركيين يخونون زوجاتهم

تقول الكاتبة كارول بوتوين في كتاب وضعته تحت عنوان «*رجال ليس بوسعهم أن يكونوا مخلصين*»: إن الخيانة الزوجية وعدم الوفاء يقودان إلىٰ البؤس الذي ازداد جلاء ووضوحاً علىٰ مرّ السنين. وكنت أرىٰ في وجوه النساء اللواتي يعانين من هذه المشكلة: البؤس والشقاء.[١]

أجل. إن البؤس والشقاء يلفّان حياة من يخونها زوجها، ويصبغان

حياتها بالحزن، ويحيلانها - في كثير من الحالات - إلىٰ جحيم لا يطاق.

والزوجات اللواتي يعانين من خيانة أزواجهن في أوروبا وأميركا، لسن قليلات حتىٰ يقال بأن قيد الخيانة قليل الانتشار، بل إنهن كثيرات كثيرات، فقد دلت الدراسات علىٰ أن في الولايات المتحدة وحدها أكثر من ٣٥ مليون رجل متزوج يقيم علاقات غير شرعية خارج عش الزوجية. *أي بنسبة تصل إلىٰ سبعين في المائة من الرجال المتزوجين. وبعبارة أخرىٰ فإن سبعين في المائة من الزوجات الأميركيات مأسورات بقيد الخيانة: خيانة أزواجهن لهن!*

ويتساءل الاختصاصيون الغربيون: «*هل يستوعب أحد خسارة الزوجة: من جراء هجر زوجها للمنزل، إلىٰ امرأة أخرىٰ*»؟ فهي أولاً تخسر إنساناً تحبه، وتفقد ثانياً شعورها بالجو الأسري. لأن خيانة زوجها تهدد بنية الأسرة بكاملها. كما تفقدها ثقتها بنفسها، وأمانها المادي.. لأنها في فترة زواجها كانت تمارس دور الزوجة والأم.. ولا تعمل خارج المنزل.

تجمع «واتش»

وقد دفعت المعاناة، الزوجات اللواتي يخونهن أزواجهن، إلىٰ تشكيل تجمع نسائي جديد في أميركا يضمّهن، أطلق عليه «واتش» وهي اختصار للعبارة الإنكليزية:

women and their cheating husbands أي «النساء وأزواجهن الخائنون».

تجتمع هؤلاء الزوجات مرتين في الشهر: حيث يعرضن مشاكلهن مع

أزواجهن غير المخلصين، فتحكي كل واحدة تجربتها للأخرىٰ، وتبحث، عبر الحوار مع الأخريات، عن الحل الملائم.

وقد انتشرت هذه اللقاءات في أكثر من ولاية أميركية، ويقطع بعض النساء مئات الأميال ليصلن إلىٰ مكان الاجتماع.

وحين تقرأ الزوجة الأمريكية، أن نسبة الأزواج الخائنين تصل إلىٰ سبعين في المائة، تتعرض لصدمة كبيرة إذا علمت أن زوجها هو أحد أولئك.

ولا توجد، في هذه الحالة، أي حماية للزوجة الأميركية: فإذا أخبرت أهلها بالأمر.. فهم ـ في الأغلب ـ لا يستطيعون القيام بشيء.. سوىٰ النظر بكراهية متزايدة إلىٰ صهرهم. وإذا أخبرت أهل زوجها.. فأهل الزوج كثيراً ما يقفون معه. أما إذا أخبرت صديقاتها.. فإنهن ينصحنها ـ بدافع الشفقة ـ بطلب الطلاق العاجل. ولكن هل يحل الطلاق مشاكلها؟

الخيانة موت فعلي

يبدو الزوج في بادىء الأمر.. وفياً ومخلصاً: لكنه فجأة تزداد ساعات عمله الإضافية، ويظهر ولعه بهوايات لم تكن تعرفها الزوجة من قبل، ويتذرع بالمبيت خارج المنزل لأنه في رحلة صيد مع زملاء له. هذا ما حدث بالفعل مع إحدىٰ الزوجات.

زوجة أخرىٰ قالت في أحد اللقاءات: ***«كنت أعلم دائماً أنه يخونني، وكان، كل مرة، يحلف لي أنها الأخيرة: فأصدقه. ولكن عندما أراه يبتسم***

لبائعة في السوبر ماركت . . أعلم أنني فقدت فيه ثقتي إلىٰ الأبد». وقالت سيدة: إن الخيانة بالنسبة إليها هي «الموت». بدأ زوجها يخونها بعد أسبوعين فقط من زواجهما. وهما الآن معاً منذ تسع سنوات. وتضيف: الخيانة موت فعلي؛ موت البراءة والثقة بالآخر. عندما تفقد المرأة زوجها بموته. . تلجأ إلى القضاء والقانون ليحميها مادياً ويساعدها علىٰ العيش، وكذلك الأمر مع المطلقة التي تحصل علىٰ نفقة شهرية من الزوج. أما المرأة «المخدوعة» فلا يوجد من يحميها، بل إن المجتمع يحمّلها أحياناً كامل المسؤولية. هكذا تفقد المرأة ثقتها بنفسها جراء خيانة زوجها لها، كأنها هي المسؤولة، وتخجل أن يعرف أحد بقصتها.

كيف يحررها الإسلام من الزوج الخائن؟

والإسلام، أختي القارئة، يحرر الزوجة من قيد الزوج الخائن: يحررها أولاً عن طريق الوقاية: بمنع الأسباب التي تسهّل للزوج أمر الخيانة، وتمهّد طريقها أمامه، ويحررها ثانية بإعطائها حق الانفصال عنه. . وطلب الطلاق.

لنبدأ أولاً بالوقاية التي تحول دون خيانة الزوج، وتُضعف أمامه أسبابها، وتضيّق عليه طريقها وسبيلها.

في كتاب كارول بوتوين الذي أشرنا إليه قبل قليل، وهو كتاب *«رجال ليس بوسعهم أن يكونوا مخلصين»* تذكر المؤلفة، أن من أبرز فرص الخيانة: الاختلاط في العمل الذي يوفّر الفرصة لمغازلة الجنس الآخر، فقد يكون الرجل، بحكم عمله، علىٰ اتصال وثيق بالنساء: مثل السكرتيرة، أو الزميلة.

وعدا الاختلاط في العمل، فإن الاختلاط في الحياة الاجتماعية أيضاً يساعد الزوج علىٰ الخيانة: حتىٰ مع أقرب صديقة لزوجته وأعزّها علىٰ نفسها..![2]

وواضح أن الإسلام الذي يمنع الاختلاط، سواء في العمل أو في الحياة الاجتماعية، يوفر عامل وقاية قوياً يحول دون خيانة الزوج، ويقلل أمامه فرص اللقاء بنساء أخريات: يمكن أن يخون الزوج زوجته مع إحداهن.

من العوامل الأخرىٰ التي تقف وراء خيانة الأزواج: كما جاءت في كتاب كارول بوتوين (وهي حُجّةً في الولايات المتحدة بشأن العلاقات)، أن هناك دلائل واضحة في زوجٍ ما تجعل من الممكن التنبؤ بأنه سيكون مخلصاً ووفياً لزوجته في المستقبل.

من بينها تاريخ حياته، وإخلاصه أو عدم إخلاصه، وفيما إذا كان والده مرتبطاً بعلاقة غرامية، أو كان والد الزوجة علىٰ علاقة بغير أمها. فالمرأة التي عاشت في كنف والد غير مخلص، تختار في بعض الأحيان، رجلاً من النمط نفسه.[3]

عفّوا تعفّ نساؤكم

إذاً فعدم الوفاء يجرّ عدم الوفاء، والخيانة تورث الخيانة، وحين يربي الإسلام أبناءه علىٰ الإخلاص والوفاء والعفاف: يضمن انتقال هذه الأخلاق إلىٰ أبنائهم وبناتهم، ويمنع من انتشار الخيانة، يحصرها حصراً، حتىٰ يخنقها خنقاً. وقد نبّه الرسول ﷺ في عبارة موجزة جامعة إلىٰ هذه

الحقيقـة حين قال: «*عفّوا تعفّ نساؤكم*». و(النساء) هنا قد تشمل الزوجات والبنات والأخوات والأمهات.

ولو عدنا إلىٰ قراءة كلمات الكاتبة الأميركية فسنجدها تقول: «.. ***فالمرأة التي عاشت في كنف والد غير مخلص.. تختار ـ في بعض الأحيان ـ رجلًا من النمط نفسه***»، أي أن المرأة أو الفتاة، التي تقيم علاقة غير شرعية مع رجل متزوج، وتجعله يخون زوجته معها، يقف وراء علاقتها هذه، ويكون سبباً فيها، والدها الذي لم يكن مخلصاً أيضاً.

ولعل هذا يظهر بلاغة قوله تعالىٰ ودلالته في آية سورة النور: ﴿***الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك***﴾ النور ٣. يقول المراغي: «أي إن الفاسق الفاجر، الذي من شأنه الزنا والفسق، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة أو في مشركة مثلها. والفاسقة المستهترة لا يرغب في نكاحها الصالحون من الرجال: بل ينفرون منها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة ولقد قالوا في أمثالهم: «***الطيور علىٰ أشكالها تقع***».

ولا شك في أن هذا حكم الأعم الأغلب، كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقي، وقد يفعل الخير من ليس بتقي: فكذا هذا الزاني قد ينكح المؤمنة العفيفة، والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف.»[٤]

وهكذا أيضاً يحمي الإسلام الزوجة من خيانة زوجها، أو لنقل يقيم عامل وقاية آخر أمام الخيانة.

تلبية الزوجة المستمرة لزوجها

أما عامل الوقاية الثالث: فيكمن في تلبية الزوجة المستمرة المتكررة لرغبة زوجها الجنسية، دون تلكؤ أو تباطؤ أو تسويف: لأن أساس الخيانة الزوجية هو تلك الرغبة الجامحة في الزوج، فحين لا تلبيها الزوجة: يقوى اندفاع الزوج نحو الخيانة لتلبية غريزته لدىٰ امرأة أخرىٰ.. بصورة غير شرعية.

لنعد إلىٰ الكاتبة كارول بوتوين في كتابها الذي كان واحداً من أكثر الكتب مبيعاً في الولايات المتحدة ***«رجال ليس بوسعهم أن يكونوا مخلصين»***. إنها تقدم عدة نصائح للزوجة تساعدها علىٰ الاحتفاظ بزوجها بعيداً عن الخيانة، ومن أبرز هذه النصائح قولها وهي تخاطب الزوجة «لتكن حياتكما الجنسية مفعمة بالحيوية، فالأزواج يعلقون أهمية كبرىٰ علىٰ الحياة الجنسية، فإذا ما وُجدت القناعة في هذه الناحية، فمن غير المحتمل البحث عن امرأة أخرىٰ.[٥]»

وهنا أيضاً يسبق الإسلام هذه الدراسات، ويقي الزوجة ويحميها من خيانة زوجها. ولكنه، في هذه المرة، لا يحمّل الزوج المسؤولية: إنما يحمّلها الزوجة: حين يلزمها بتلبية رغبة زوجها الجنسية متىٰ أراد، ويشدد عليها في ذلك، ويمنعها من التباطؤ والتسويف، والإسلام بهذا التشديد عليها، إنما يحميها ويحمي بيتها وأسرتها من خيانة زوجها لها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ***«إذا دعا الرجل***

امرأته إلىٰ فراشه؛ فلم تأته؛ فبات غضبان عليها؛ لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح» متفق عليه.

وفي رواية لهما (أي البخاري ومسلم) *«إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها.. لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح»*.

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: *«والذي نفسي بيده: ما من رجل يدعو امرأته إلىٰ فراشه فتأبىٰ عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها.. حتىٰ يرضىٰ عنها»*.

وعن أبي علي طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: *«إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت علىٰ التنور»*رواه الترمذي والنسائي. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: *«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»* متفق عليه.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: *«إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في نفسه.. فليعمد إلىٰ امرأته فليواقعها.. فإن ذلك يردّ من نفسه»*.

وهكذا نجد الرسول ﷺ يمنع المرأة من أن تكون سبباً في حرمان زوجها الجنسي: الحرمان الذي يعد السبب الأول في خيانات كثير من الأزواج. وهو - ﷺ - من ثم: يحفظ للزوجة زوجها الذي قد تدفعه هي نفسها إلىٰ الخيانة دون أن تدري، حين تتأبى عليه، أو تتباطأ في

الاستجابة له، أو تضع حائلاً دون ذلك، كما بيّن لنا الرسول الكريم ﷺ.

معالم نبوية

ففي الأحاديث السابقة: رسم النبي ﷺ: معالم هامة في هذا الشأن، وهي:

١ـ عدم التهوين من عدم استجابة الزوجة إلىٰ دعوة زوجها إلىٰ فراشه، وجعل عقوبة هذا لعنة الملائكة لها طوال الليل، واللعنة مخيفة، فهي الطرد من رحمة الله. وفي الحديث الآخر ذكر النبي ﷺ أن الله تعالىٰ يسخط عليها حتىٰ يرضىٰ عنها زوجها. وفي هذا كله تنبيه للزوجة التي قد لا تجد بأساً في عدم استجابتها لزوجها: فتهمل فيها، ولا تكترث بها، وتحسبها هينةً وهي عند الله عظيمة.

٢ـ سدّ الرسول ﷺ الباب أمام أي عذر قد تتعلل به الزوجة، وتجد فيه حجة للإبطاء علىٰ زوجها، والتلكؤ في الاستجابة له: وذلك حين صوّرها أمام التنور تخبز الخبز. وهي صورة ذات تعبير ودلالة. فقد تتعلل الزوجة بأنه لا يمكن ترك التنور مشتعلاً قبل أن تنهي خبز الخبز، فأوضح لها النبي ﷺ أن ترك التنور أوجب عليها من ترك زوجها ينتظر، فالنار التي في صدره أخطر من النار التي في التنور. وللمرأة في هذا الزمان: أن تقيس علىٰ هذا كثيراً من العلل والأعذار التي تتباطأ بها علىٰ زوجها، من إعداد طعام، أو جلي صحون، أو ترتيب بيت، أو غيرها من الأمور التي يمكن تأجيلها، مهما كانت ذات شأن، إلىٰ ما بعد تلبيتها زوجها.

٣ـ *وحتىٰ لا تحسب الزوجة: أن هذا الإلزام النبوي لها: قاصر علىٰ*

فترة الليل والمبيت، بيّن لها أنها لا تستطيع الصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه. فالصوم لا يكون إلا في النهار. ومن ثم فإن من حق زوجها أن يلبي رغبته في زوجته في النهار أيضاً، وليس لزوجته أن تتأبىٰ عليه فيه، حتىٰ وإن كان عذرها في هذا التأبي هو الصيام، لأن من مقتضيات الصيام الامتناع عن الجماع.

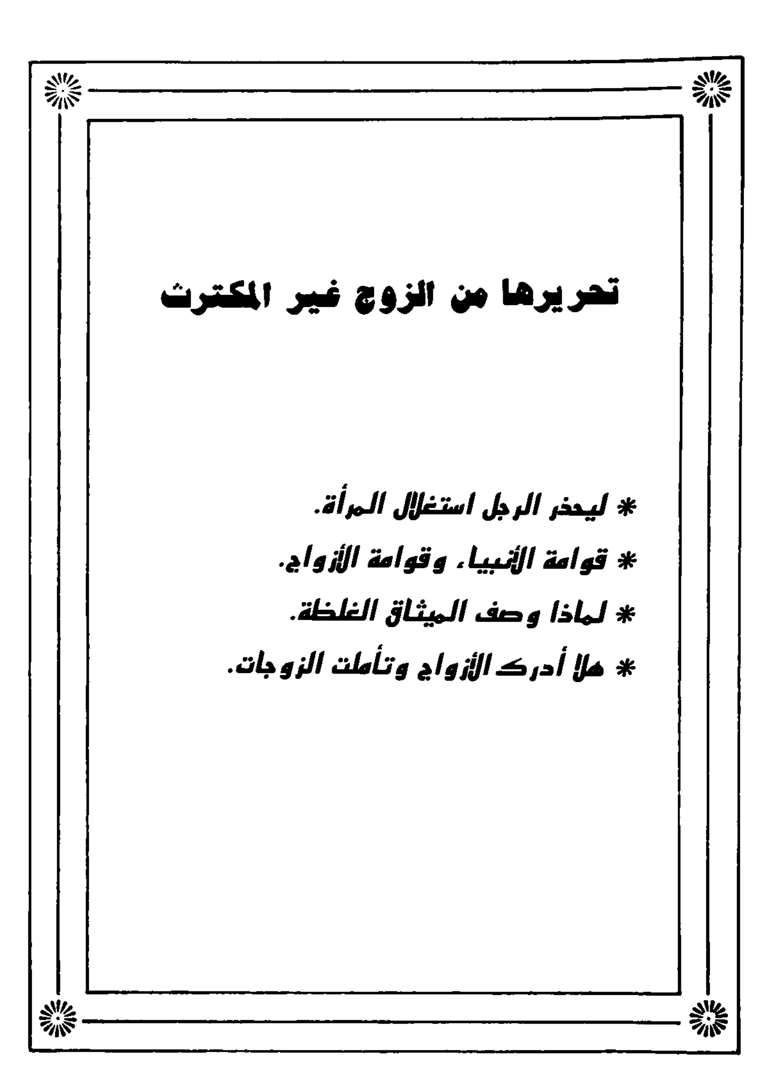
وفي هذا أيضاً تأكيد لعدم القبول بأي عذر تتعلل به الزوجة، فحتىٰ الصيام، الذي هو عبادة لله تعالىٰ وتقرّب إليه، ليس مقبولاً من الزوجة: بل لا يحلّ لها، إذا لم يأذن لها زوجها به.

٤ـ وكأنما الحديث الأخير يأتي: ليظهر الحكمة من هذا كله، فقد قرأنا في الحديث الذي رواه مسلم: «*إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في نفسه: فليعمد إلىٰ امرأته فليواقعها: فإن ذلك يرد من نفسه*». فكيف يواقع الزوج امرأته إذا عاد إليها فوجدها صائمة دون إذنه، أو تأبّت عليه بعلة من العلل أو عذر من الأعذار. .؟!!

إن السبل المؤدية إلىٰ الخيانة الزوجية محروسة في الإسلام، والطرق المفضية إلىٰ العلاقات غير الشرعية محمية في شرع الله.

وهكذا يحمي الإسلام المرأة من خيانة زوجها، ويحررها مما تسببه لها هذه الخيانة من خوف وقلق وحزن، ومما تورثه من بؤس وشقاء.

(١) (٢) (٣) (٥) جريدة «الرأي العام» ـ العدد ٨٩٢٥.
(٤) تفسير المراغي ـ ج ١٢ ـ ص ٧٠، ٧١.



تحريرها من الزوج غير المكترث

* ليحذر الرجل استغلال المرأة.
* قوامة الأنبياء وقوامة الأزواج.
* لماذا وصف الميثاق الغلظة.
* هلا أدرك الأزواج وتأملت الزوجات.

تحريرها من الزوج غير المكترث

«*ميثاقاً غليظاً*».

لم يوصف ميثاق في القرآن الكريم بأنه غليظ إلا ثلاث مرات. مرة في الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله تعالىٰ من الأنبياء عليهم السلام، ومرة في الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله من بني إسرائيل. ومرة في الحديث عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها.

يقول الله تعالى عن الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام:
﴿*وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً*» الأحزاب ٧.

ويقول عن الميثاق الذي أخذه تعالىٰ من بني إسرائيل:
﴿*ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً، وقلنا لهم لا تعدوا في السبت، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً*﴾ النساء ١٥٤.

ويقول سبحانه عن الميثاق الذي تأخذه الزوجة من زوجها:
﴿*وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً! وكيف تأخذونه وقد أفضىٰ بعضكم إلىٰ بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً*﴾؟ النساء ٢٠-٢١.

ليحذر الرجل استغلال المرأة

فهلّا تأملت الأخت المسلمة؛ كيف وصف الله تعالىٰ الميثاق الذي تأخذه من زوجها بعقد الزواج، بأنه غليظ؛ تماماً كما وصف سبحانه الميثاق الذي أخذه من الأنبياء عليهم السلام، والميثاق الذي أخذه سبحانه من بني إسرائيل!

إنه تعظيم لعقد الزواج؛ الذي يستحل به الرجلُ المرأةَ التي يتزوجها، ومن ثم تشديد من الله تعالىٰ وإنذار للأزواج الذين لا يكترثون بهذا الميثاق الغليظ؛ فيحاولون أن يأخذوا من المهر الذي أعطوه لزوجاتهم.

إن الله تعالىٰ هو الذي أخذ الميثاق الغليظ في الآيتين الأُوليين، والمرأة هي التي أخذته من زوجها في الآية الثالثة، فكأنما علىٰ الرجل أن يحذر أن يستغل المرأة، ويستهين بهذا الميثاق الغليظ، ناسياً أن الله تعالىٰ شاهد علىٰ هذا الميثاق، وقادر علىٰ أن يعجل له العقاب، كما عجّله لبني إسرائيل حين نقضوا ميثاقهم.

قوامة الأنبياء وقوامة الأزواج

وكما أنه تعالىٰ سيسأل الأنبياء عن هذا الميثاق الغليظ، وسيسأل بني إسرائيل ويحاسبهم عليه، فإنه تعالىٰ سيسأل الأزواج عن الميثاق الغليظ الذي أصبحت به الزوجات في رعايتهم، وأصبحن به حليلات لهم، وتركـن قيادهن لأمرهم.

يقول الرازي: «غِلَظ الميثاق هو سؤالهم (أي الأنبياء) عما فعلوا في

الإرسال كما قال تعالىٰ: ﴿ولنسألن المرسلين﴾، وهذا لأن الملك إذا أرسل رسولاً وأمره بشيء، وقَبِلَهُ، فهو ميثاق. فإذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله في أفعاله وأقواله؛ يكون ذلك تغليظاً في الميثاق عليه؛ لا يزيد ولا ينقص في الرسالة. وعلىٰ هذا يمكن أن يقال بأن المراد من قوله تعالىٰ ـ في خطاب الأزواج ـ: ﴿**وكيف تأخذونه وقد أفضىٰ بعضكم إلىٰ بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً**﴾ هو الإخبار بأنهم ـ أي الأزواج ـ مسؤولون عنها ـ أي رسالة الزواج ـ كما قال النبي ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول**». وكما أن الله تعالىٰ جعل الرجال قوّامين علىٰ النساء.. جعل الأنبياء قائمين بأمور أمتهم وإرشادهم إلىٰ سبيل الرشاد»[1].

لماذا وصف بالغلظة؟

«وفي تفسير هذا الميثاق الغليظ ـ الذي أخذته الزوجة من زوجها ـ وجوه:

الأول: قولهم: زوجتك هذه المرأة علىٰ ما أخذه الله للنساء علىٰ الرجال، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ومعلوم أنه إذا ألجأها إلىٰ أن بذلت المهر؛ فما سرّحها بالإحسان؛ بل سرحها بالإساءة.

الثاني: الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة علىٰ الصداق، وتلك الكلمة تُستحلّ بها فروج النساء، قال ﷺ: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**».

الثالث: قوله: ﴿**وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً**﴾ أي أخذن منكم، بسبب

إفضاء بعضكم إلىٰ بعض، ميثاقاً غليظاً. ووصفه بالغلظة لقوته وعظمته. وقالوا: صحبة عشرين يوماً قَرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج»!![٢]

هلا أدرك الأزواج وتأملت الزوجات

كيف، بعد هذا كله، يستهين الزوج بهذا الميثاق الغليظ، ولا يخشىٰ الله تعالىٰ في زوجته، وفي رعايتها، وحفظ حقوقها، وأداء أمانة قوامته عليها، وحرصه علىٰ توجيهها وتعليمها، بالرفق واللين، والقدوة الحسنة؟

وكيف يتعجل بعض الأزواج الطلاق، غير مدركين غلظ الميثاق الذي جمع بهم زوجاتهم، وجعلهن أمانة عندهم...؟

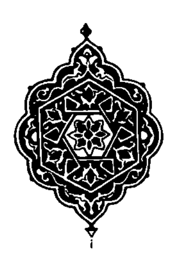
إن مبادرة كثير من الأزواج إلىٰ الطلاق، دون صبر طويل علىٰ زوجاتهم، تشير إلىٰ جهل بعضهم بهذا الميثاق الغليظ، وعدم فهمهم لما يعنيه غلظ هذا الميثاق.

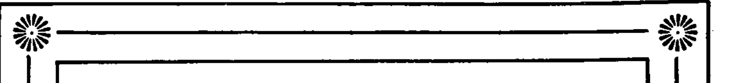
فهلا أدرك الأزواج أن زواجهم يحمل رسالة عظيمة، تشبه رسالة الأنبياء، فهم أيضاً مسؤولون عن دعوة زوجاتهم وأولادهم إلىٰ دين الله وشرعه، وتربيتهم عليه، وجعل أعمالهم موافقة لما أمر الله، وأخلاقهم وأشخاصهم مثلما كان عليه رسول الله ﷺ.

وهلّا تأملت الزوجات كيف يحميهن الإسلام، ويأمر بالإحسان إليهن، وينهىٰ عن أكل حقوقهن؛ في نهي شديد، وزجر ووعيد، يجعل الزوج يفكر ألف مرة؛ قبل أن تمتد يده إلىٰ درهم من دراهم مهر زوجته!

(١) التفسير الكبير للرازي - الجزء ٢٥ - ص ١٩٧ .

(٢) المرجع السابق - الجزء ٩ - ص ١٦ .





تعدد الزوجات يحرر المرأة ويقيد الرجل

* حين يزيد عددهن على الرجال.
* منطق سليم في رسالة ليندا.
* محيرة شركة: أكاد أختنق.
* الحاجة الفطرية إلى رجل.
* ١٠ ملايين امرأة فرنسية وحيدة.
* قيد الحاجة حين يغيب الرجل.
* التعدد يقيد الرجل ولا يحرره.
* والعدل قيد على الرجل.




تعدد الزوجات يحرر المرأة ويقيد الرجل

تعدد الزوجات قيد للرجل!! وتحرير للمرأة!

ولتُفغر أفواهكم دهشة، ولتُرفع حواجبكم عجباً، ولتعقد الحيرة ألسنتكم! لكن هذا لا يغير من حقيقة أن التعدد قيد للرجل وتحرير للمرأة.

هل هذا قلب للحقيقة، وعكس لها؟

هل هو تحميل مالا يحتمل؟

لا. بل هي الحقيقة نفسها. التي يشهد لها العقل. كما يشهد لها الواقع.

ولنبدأ ببيان الجزء الأول من الحقيقة، وهو أن التعدد تحرير للمرأة، ومنعه قيد لها.

كيف يكون منع التعدد قيداً للمرأة، وإباحة التعدد تحريراً لها؟

حين يزيد عددهن على عدد الرجال

حين يزيد عدد النساء عن عدد الرجال في المجتمع: فهذا يعني أن هناك نساء سيبقين دون زواج، لأنه لا يحق للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة واحدة في المجتمع الذي يحرّم التعدد.

وهؤلاء النسوة أمامهن خياران: إما أن يبقين دون رجال، وهذا يعني

أنهن سيصبحن عانسات، معزولات، وحيدات. وهذا، بلا شك، قيد للمرأة. لأن العنوسة قيد، والعزلة قيد، والوحدة قيد.

أما الخيار الثاني أمامهن: فهو إقامة علاقة غير شرعية مع رجل متزوج، وهذا أيضاً قيد، لأن هذه العلاقة غير الشرعية سرّية في الأغلب، وما ترزقه المرأة من أولاد، نتيجة هذه العلاقة، قيد لها. كما أن استمرار هذه العلاقة رهن بمزاج الرجل وهواه.. فليس ثمة عقد يلزمه بشيء تجاهها. وهذا يجعلها أسيرة له. وهذا الأسر قيد. وما تحس به من خوف في إقامة هذه العلاقة غير الشرعية.. هو نفسه قيد لها أيضاً.

منطق سليم في رسالة ليندا

تعالوا نقرأ رسالة فتاة أميركية، تدعىٰ «ليندا»، وجهتها إلىٰ مجلس الكنائس العالمي، تتحدث فيها عن معاناة المرأة التي لا تجد رجلاً تتزوجه: بسبب زيادة عدد النساء علىٰ الرجال: بثمانية ملايين امرأة.. في أميركا وحدها.

تقول «ليندا»:

«نشرتم في مجلتكم «الحقيقة الناصعة» (يصدرها مجلس الكنائس) أن الله خلق المرأة لتشارك الرجل الحياة والحب، ولتكون مطيعة له، ومشجعة، وبدون ذلك يفقد النساء الهدف من وجودهن.

ثم ذكرتم، أن المرأة إن لم تقدم هذا العون للرجل: فإنها تصاب بالإحباط، وتعيش علىٰ هامش الحياة».

وتضيف القارئة «ليندا» فتقول في رسالتها «وإني، في الحقيقة، أقر

بهذا، لأنني شخصياً أعيش هذه المآسي».

«فكما تلاحظون أن الإحصاءات قد أوضحت أن هناك فجوة هائلة بين عدد الرجال والنساء، فهناك ٧,٨٠٠,٠٠٠ (سبعة ملايين وثمانمائة ألف امرأة) زيادة في عدد النساء عن عدد الرجال في أميركا. وهذه الحقيقة منشورة في كثير من المصادر. ففي شيكاغو هناك ٦٢ رجلاً لكل ١٠٠ امرأة، وفي مدينة كانساس ٥٨ رجلاً لكل ١٠٠ إمرأة، وفي لونغ أيلاند بولاية نيويورك تشكل النساء ضعف عدد الرجال».

وتعرّف «ليندا» نفسها فتقول: «أنا امرأة غير متزوجة، في أوائل العقد الثالث من العمر، جذابة وخريجة جامعية. لم أجد رجلاً أتصل به منذ فترة. وعندما أقرأ هذه الإحصائيات: يصيبني شعور، أقل وصف له هو: «الإحباط».

وتضيف: «إلىٰ جانب هذه الإحصائيات القاتمة.. شذوذ جنسي بين الرجال أكثر مما بين النساء. كما أن ٩٨٪ من نزلاء السجون هم من الرجال. وهذا مما يزيد الصورة قتامة».

«إذا كان الله قد خلق المرأة لتكون شريكة الحياة للرجل، فلماذا يسمح بهذا الوضع الشاذ؟ هناك، علىٰ الأقل، ثمانية ملايين امرأة لن تتاح لها الفرصة لأن تجد رجلاً، إلا إذا كان الرجل زوجاً لامرأة ثانية».

وتختم رسالتها قائلة: «أرجوكم أن تنشروا رسالتي هذه، وتناقشوها، لأنها تمسّ كل النساء، حتىٰ أولئك المتزوجات، فطالما أن النسبة بين الرجال والنساء غير متكافئة: فالنتيجة الأكيدة هي أن الرجال سيخونون

زوجاتهم: حتىٰ ولو كانت علاقاتهم الزوجية قائمة علىٰ أساس معقول».

ليندا ـ شيكاغو [1]

مديرة شركة: أكاد أختنق

أليست «ليندا» واحدة من ثمانية ملايين امرأة أميركية، علىٰ الأقل، حُرمت العيش مع رجل، في علاقة شرعية، وتكوين أسرة، بسبب القوانين التي تحرّم التعدد؟!

ألم يلحظ القارىء، وتلحظ القارئة، مشاعر الإحباط في رسالة الأميركية «ليندا»؟ بل هي صرحت بأن أقل وصف لحالها هو «الإحباط»!

أليس الإحباط قيداً نفسياً مُورثاً للكآبة، والقلق، والضيق؟! أليس قيداً علىٰ فطرة المرأة: الفطرة التي يرويها زوج وأطفال وأسرة؟!

أي شيء يحرر مئات ملايين النساء في العالم، من هذا القيد: غير تشريع التعدد؟

اقرؤوا هذا التقرير القصير عن أثر الوحدة علىٰ المرأة الغربية:

«مع حركة تحرر المرأة في أوروبا وأميركا، ومع انتشار فكرة المساواة، والفرص المتكافئة، ثم مع خروج المرأة للعمل في ظل قوانين مدنية غير صارمة، صار أمراً عادياً أن ترتحل الفتاة عن بيت أهلها إلىٰ مدينة أخرىٰ لتعيش وحدها، وتعمل وتكسب لتعيل نفسها، وتتصرف بعيداً عن سلطة أحد آخر.

في الظاهر: يمكن أن يعتبر هذا النمط من الحياة شكلاً من أشكال

الحرية، ولكن الواقع ونتائج الدراسات التي أجريت حول هذا الموضوع، كشفت بشكل واضح، لا لبس فيه، أن المرأة صارت تعاني من وحدة قاتلة، ومن الإحساس بأنها وحيدة لا أحد يشاركها المشاعر والأحاسيس مهما كانت.

وامتلأت عيادات أطباء العلاج النفسي، ومستشفيات الأعصاب، بالذين يشكون من الوحدة، خاصة من النساء. وتصرخ امرأة، تعمل مديرة في إحدىٰ الشركات، وتحصل علىٰ راتب مرتفع، وتمتلك بيتاً، ولديها سيارة فخمة... تصرخ قائلة: أكاد أختنق. إني أشعر في أحيان كثيرة أن الانتحار يمكن أن يشكل مخرجاً من قفص الوحدة القاتلة»[٢]

الحاجة الفطرية إلى رجل

وجاء في تقرير آخر: «بالرغم من كل الضجة التي تثار حول حرية المرأة: فإن ٩٥٪ من النساء يعتقدن أن الواحدة منهن تكون دون قيمة، في غياب الرجل. هذا ما تؤكده أستاذة علم النفس الدكتورة بنيلوب روسيانوف وتقول إنها تعني بذلك المرأة من كل الأعمار. وكل مستويات الثقافة.

وتقول: إن إحساس المرأة بأنها لا تساوي شيئاً دون رجل، مشكلة تشترك فيها كل النساء، من مختلف الأعمار والمستويات، في التعليم والدخل والديانة والتنشئة والوظيفة والجمال والشخصية. أي أن هذا الإحساس أصيل في المرأة وقوي.

وتشير إلىٰ أنها اجتمعت بنساء متزوجات ليست لهن حياة خاصة بهن،

وكل أحلامهن تدور حول الرجال الذين يعشن معهم. ومن خلال هؤلاء النساء ألّفت كتابها الشهير: «لماذا أشعر أنني لا شيء دون رجل؟».

وتقول د. بنيلوب: إن النساء الوحيدات أخبـرنني أنهن حين يحصلن علىٰ رجل: فإنهن سيتخلصن من الإحساس بالفراغ وعدم الاكتفاء.

والدكتورة بنيلوب طبيبة نفسية ممارسة، وتدرس علم النفس، وتشارك في الأبحاث النفسية والاجتماعية حول العلاقات الإنسانية، وهي تقول: «ليس هناك أي خطأ في أن ترغب المرأة في وجود رجل إلىٰ جانبها، وأن تبحث عنه، لأن الإنسان يبحث عن الصحبة»[٣]

وتؤكد دراسة أجراها فريق علمي في إحدىٰ الجامعات الأميركية، أن البشر الذين يعيشون في مجموعات: يكونون، في العادة، أفضل صحة ممن يعيشون في عزلة.

ويقول الفريق العلمي ـ وهو برئاسة البروفيسور جيمس هاوس من معهد الشيخوخة والأوبئة في جامعة ميتشيغان الأميركية ـ إنه اكتشف أن عيش الأفراد منعزلين في الغرب، مدداً أطول من المألوف، أو إنجابهم عدداً أقل من الأطفال، يعرضهم للإصابة بأمراض قاتلة أشد فتكاً من مضار التدخين، والسمنة، وضغط الدم.

وتؤيد استنتـاجـات الفـريق العلمي، التي نشرتها مجلة «ساينس» العلمية، وجهـة النـظر القائلة: إن الزواج يبدو مفيداً لصحة الزوج والزوجة. وأن النساء يستمتعن برفقة أفراد أسرهن أكثر مما يستمتعن برفقة الصديقات والأصدقاء.

ويختم الفريق العلمي بالقول: إن فكرة وجود صلة بين العلاقات الاجتماعية والصحة.. هي فكرة يسلم بها الأطباء منذ مدة طويلة، ولكن أول دليل واضح عليها جاء من دراسات أجريت على الناس المرجح إقدامهم على الانتحار أكثر من غيرهم.[4]

وأشارت محصلة دراسة على رغبات النساء الكنديات، قامت بها مجلة نسائية بإشراف ماريان بريتان نائبة رئيس تحرير مجلة «شاتلين» أشارت إلى أن ما تتمناه المرأة، أكثر من أي شيء آخر، هو أن تعيش في أسرة سعيدة متماسكة، وأن تتزوج، وأن تنجب الأطفال.

١٠ ملايين امرأة فرنسية وحيدة

هكذا يؤكد علماء النفس أن سعادة المرأة في زوج وبيت وأطفال، وأن شقاءها في فقدان الزوج والأسرة والأطفال، في العيش في وحدة رهيبة مفزعة، رأينا صورة لها في رسالة الفتاة الأميركية «ليندا» التي عبرت عن أحاسيس ثمانية ملايين امرأة أميركية، على الأقل، تعيش دون رجل: ومن ثم دون أسرة وأطفال.

والحال ليس قاصراً على أميركا وحدها، بل هو كذلك في جميع بلدان أوروبا الغربية والشرقية، ففي فرنسا مثلاً عشرة ملايين ومائة ألف امرأة تفترسها الوحدة، والوحشة، والمعاناة. منهن خمسة ملايين و٨٠٠ ألف امرأة بدون زواج، وثلاثة ملايين و٢٠٠ ألف أرملة، ومليون و١٠٠ ألف مطلقة!

هذه الملايين العشرة من النساء الفرنسيات.. أي شيء ينقذهن من

وحدتهن، وينجّيهن من وحشتهن، ويخرجهن من معاناتهن. . غير تشريع التعدد؟ التعدد الذي يكفل لها زوجاً يرعاها، وينفق عليها، وتنجب منه الأطفال، في علاقة شرعية قانونية، لا خوف معها ولا قلق، ولا إخفاء ولا تستر. . !

أليس لنا، بعد هذا، أن نقول: إن تشريع التعدد تحرير للمرأة، تحرير لها من الوحدة والعزلة والوحشة؟ وهي قيود ظهر لنا واضحاً كيف تكبّل المرأة، وتكبت فطرتها، حتىٰ تدفعها إلىٰ التفكير في الانتحار؟

قيد الحاجة حين يغيب الرجل

وعدا قيد الوحدة: هناك قيد الحاجة، فهذه الملايين من النساء اللواتي يعشن دون رجال، عليهن أن يعملن ليوفرن لأنفسهن ما يُنفقنه علىٰ حاجاتهن من طعام وكساء وسكن.

وعمل المرأة لتوفير لقمة عيشها، ولسدّ حاجاتها، يحمل أكثر من قيد لها. والتقارير والدراسات والإحصاءات، التي تتحدث عن عمل المرأة، تشير إلىٰ كثير من هذه القيود التي أحاول المرور عليها هنا سريعاً:

عدم تكافؤ الفرص مع الرجال: أشار استفتاء أجراه مكتب الإحصاء في الولايات المتحدة، إلىٰ أن ٦٦٪ من النساء العاملات في واشنطن: يعاملن بصورة أسوأ من الرجال، في حالة التنافس للحصول علىٰ وظائف قيادية وإدارية. و٥٦٪ منهن يعاملن بصورة أسوأ في الحصول علىٰ الترقية.

تقاضي أجور أقل: قالت ٥٨٪ من النساء العاملات إنهن يتقاضين

أجوراً أقل، مع أنهن يؤدين الأعمال نفسها التي يؤديها الرجل. وقالت ٦٤٪ من النساء بأنهن غير قادرات علىٰ امتلاك بيت دون مساعدة الرجل.

مضايقات الرجال أثناء العمل: عدد غير قليل من النساء يتعرض لمضايقات ومعاكسات من زملائهن في العمل، حتىٰ أن ٦٪ من النساء اللواتي تم استفتاؤهن في واشنطن ذكرن بأنهن تركن العمل بسبب مضايقات جنسية. وهذا يعني أن اللواتي يتعرضن لمضايقات جنسية، ويصبرن عليها، ولا يتركن العمل، أكثر من ذلك بكثير.

هذه بعض القيود التي يكبّل بها العمل حرية المرأة، وهناك قيود أخرىٰ مثل ابتعاد المرأة الأم عن أطفالها طوال ساعات العمل، وقلقها عليهم، ومشكلات المواصلات والانتقال من البيت إلىٰ العمل، ومن العمل إلىٰ البيت، وغيرها.

قيود العمل هذه جميعها تتحرر المرأة منها: حين يكون هناك زوج ملزم بالإنفاق عليها، وتلبية مختلف حاجاتها المادية، ولن يحرر كثيراً من النساء الأرامل والعازبات والمطلقات من قيود العمل هذه.. إلا تشريع التعدد.

التعدد يقيد الرجل.. ولا يحرره

وأصل إلىٰ الجزء الثاني من الحقيقة، وهو أن تشريع التعدد قيد للرجل وليس تحريراً له، كما هو تحرير للمرأة وليس قيداً لها.

ولكن.. كيف يكون التعدد قيداً للرجل..؟! كيف تكون إباحة الزواج بأكثر من امرأة.. قيداً.. وهي تتيح للرجل أن يجمع بين زوجتين أو ثلاث أو أربع؟!

الإجابة بعون الله، سهلة، ومقنعة.

علماء النفس يجمعون على أن الرغبة في التعدد مكينة في نفس الرجل، بينما هي غائبة عن نفس المرأة.

أي أن الرجل، بصورة عامة، يحب أن يكون له أكثر من امرأة، بينما المرأة، عامة، لا تحب أن يكون لها سوى رجل واحد.

وإذا كانت الرغبة في التعدد مكينة في نفس الرجل، قوية فيه، فإنها ستدفعه، أو تدفع بعض الرجال، إلى الاستجابة لهذه الرغبة.

ولنأخذ صورة هذه الاستجابة في مجتمعين: المجتمع غير المسلم، والمجتمع المسلم.

في المجتمع غير المسلم، ونضرب مثلاً به المجتمع الغربي، التعدد محرم، تعدد الزوجات محرم في قوانينهم، لكن تعدد الخليلات، العشيقات، لا تحرمه قوانينهم.

أي أن تحقيق التعدد، وتلبية الرجل لرغبة التعدد القوية في نفسه، سهلة، ميسورة، لا قيود تمنعها، فطالما المرأة راضية بالعيش معه دون عقد زواج، فإن القانون لا يحاسب الرجل، ولا يحاسب المرأة.

إذن، فتعدد العشيقات أسهل على الرجال من تعدد الزوجات، وأخف حملاً عليه: حملاً مادياً من حيث التزام الإنفاق، وحملاً معنوياً من حيث تحمل المسؤوليات.

بينما الرجل في المجتمع المسلم: إذا أراد التعدد السهل، أي تعدد الخليلات والعشيقات: فإنه مقيد، لأنه محاسب على هذا التعدد،

فهو - في حكم الشرع - زان، وزان محصن، وحدّه الرجم.

ليس أمـام الزوج المسلم، إذن، إذا أراد التعـدد، إلا الزواج، الزواج الذي يحمّله مسؤوليات ماديـة ومعنويـة، ويلزمه بـالتزامـات عظيمة في عقد الزواج الذي وصفه سبحانه بـأنه «ميثـاق عظيم». التزامات تجاه المرأة التي تزوجها، من إنفاق، وحماية، ورعاية.

والعدل قيد على الرجل

وأهم واجب يفرض عليه هو واجب العدل، العـدل بين جميـع زوجاته، العدل في النفقة، والعدل في المبيت، وهو عدل ليس سهلاً كما قد يحسب المرء لأول وهلة، بل هو شديد وصعب إلىٰ حد يصبح معه قيداً حقيقياً علىٰ الرجل الذي اختار التعدد.

قال تعالىٰ: ﴿***ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً***﴾ النساء ١٢٩.

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «***كان رسول الله ﷺ لا يفضّل بعضنا علىٰ بعض في مكثه عندنا (أي عند نسائه) وكان قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا.. فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتىٰ يبلغ إلىٰ من هو يومها فيبيت عندها. ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنّت (كبرت) وفرقت (خشيت) أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله.. يومي هذا لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ***» رواه أبو داود والحاكم في مستدركه ثم قال: صحيح الإسناد.

واضـح من هذا التعـدد قيـد للرجـل، فهـو وإن أحب إحـدىٰ زوجاته.. فإنه لا يملك أن يبيت عندها أكثر من غيرها، ويحرم عليه أن يزيدها نفقة دون سواها.

عن النضر بن أنس عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ***من كانت له امرأتان فمال إلىٰ إحداهما.. جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط»*** رواه أحمد وأهل السنن.

فأين مِنْ هذا القيد مَنْ ينفلت مِنْ واجباته تجاه زوجته، ليعاشر خليلته ليالي متواليات، وينفق عليها ثروته أو مرتبه، غير مكترث بحق من حقوق أولاده وزوجته عليه...؟

مَنْ مِنْ أولئك الذين يعددون الخليلات العشيقات، في الشرق أو الغرب، يعدل بينهن في المعاشرة والنفقة...؟!!!

ألا يمارسون حرية مطلقة دون مراعاةٍ لعدل، ودون تأدية لحق، ودون التزام بقيمة؟!

ألا يتبعون شهواتهم وأهواءهم دون ضباط..؟

أفليس التعدد الشرعي في الإسلام: قيـداً علىٰ الـرجل، تحـريراً للمرأة.

وأليس التخلل، أي التعدد غير الشرعي، حـرية للرجـل، قيداً للمرأة؟

والواقع يؤيد هذا أيضاً: فالإحصاءات الدولية تقول: إن الأزواج الخائنين في أميركا وأوروبا تصل نسبتهم إلىٰ ٧٠٪، بينما لا تتجاوز

نسبة الأزواج المعددين (المتزوجين بـأكثر من واحـدة) في المجتمعات المسلمة.. اثنين في المائة؟!!!!

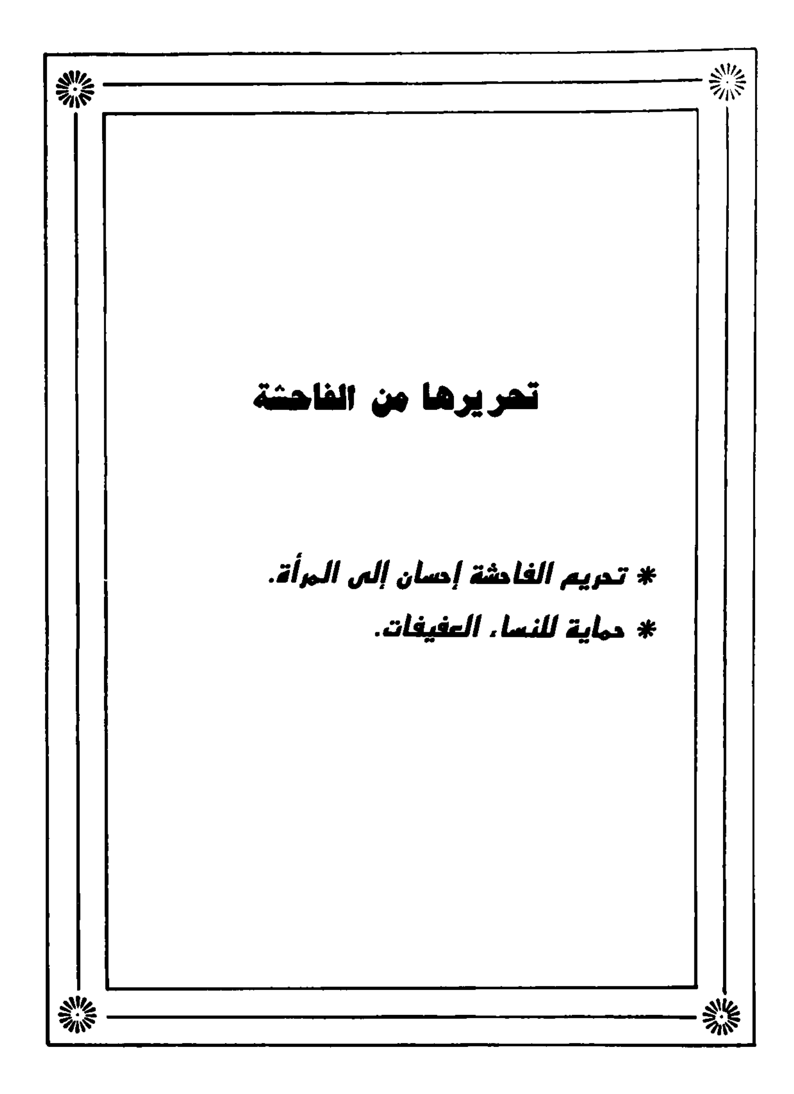
هل رأيتم كم هو شاسع الفرق بين النسبتين؟

وهـل تأملتم كيف يحمي الإسـلام المرأة بـالتعـدد، ويحفـظهـا، ويصونها؟

وكيف يشقيها غيره بتحريم التعدد، وإباحة التخلل..؟



(١) جريدة السياسة ١٧/١/١٩٨٦.
(٢) جريدة القبس ـ العدد ٥٥٧٢.
(٣) جريدة القبس ـ العدد ٦١٩٣.
(٤) جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٣٥٤٩.



تحريرها من الفاحشة

* تحريم الفاحشة إحسان إلى المرأة.
* حماية للنساء العفيفات.

تحريرها من الفاحشة

ورب قائل: كيف تحرر المرأة من الفاحشة: والفاحشة لون من ألوان الحرية؟

وأقول: إن الفاحشة مثل طعام شهي لذيذ: لكن السمّ دُسّ فيه، فإذا حُلْنا بين الناس وأكله.. أنكون قد سلبناهم حرياتهم؟

لماذا لا نقول إن لذة الطعام، وكونه شهياً، قيدان يسوقان المرء إلىٰ تناوله.. ثم إلىٰ هلاكه! فأين الحرية في هذا؟

إذن: فحين يحول الإسلام بين المرأة وبين الفاحشة: فإنه يحول بينها وبين الهلاك. إنه يحفظ لها كرامتها، ويعلي من شأنها، ويرفع لها قدرها.

إنه أوصىٰ بها زوجةً غاية الإيصاء، وأمر بمعاشرتها بالمعروف، وحرّم أخذ حق من حقوقها المالية، وجعلها مصدراً لثواب الرجل حين يرعاها ويحسن إليها، ووعدها بما يحصل عليها الرجل من أجر الجهاد والجمع والجماعات إذا أحسنت تبعلها لزوجها.... أفيقال، بعد هذا، إن الإسلام يسلبها حريتها إذا حال بينها وبين الفاحشة وهو يعطيها هذا الأجر كله.. وينزلها هذه المنزلة العالية؟

تحريم الفاحشة إحسان إلى المرأة

وما أجمل كلمات الإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿**واللاتي يأتين**

الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتىٰ يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلًا﴾ النساء ١٤.

يقول رحمه الله: «اعلم أنه تعالىٰ لما ذكر في الآيات المتقدمة الأمر بالإحسان إلىٰ النساء ومعاشرتهن بالجميل، وما يتصل بهذا الباب، ضمّ إلىٰ التغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة، فإن ذلك في الحقيقة إحسان إليهن، ونظر في أمر آخرتهن. وأيضاً ففيه فائدة أخرىٰ: وهو ألا يجعل أمرُ الله الرجالَ الإحسانَ إليهن سبباً لترك إقامة الحدود عليهن، فيصير ذلك سبباً لوقوعهن في أنواع المفاسد والمهالك. وأيضاً فيه فائدة ثالثة، وهي بيان أن الله تعالىٰ كما يستوفي لخلقه فكذلك يستوفي عليهم، وأنه ليس في أحكامه محاباة، ولا بينه وبين أحد قرابة، وأن مدار هذا الشرع الإنصاف والاحتراز في كل باب عن طرفي الإفراط والتفريط، فقال: ***﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾***»[1]

ويقول القرطبي: «لما ذكر الله تعالىٰ في هذه السورة الإحسان إلىٰ النساء، وإيصال صدقاتهن إليهن، وانجرّ الأمر إلىٰ ذكر ميراثهن مع مواريث الرجال، ذكر أيضاً التغليظ عليهن فيما يأتين به من الفاحشة، لئلا تتوهم المرأة أنه يسوغ لها ترك التعفف»[2]

ويوضح هذا المعنىٰ أيضاً الشيخ أحمد مصطفىٰ المراغي في تفسيره إذ يقول:

«بعد أن أوصىٰ سبحانه إلىٰ النساء ومعاشرتهن بالمعروف، والمحافظة علىٰ أموالهن، وعدم أخذ شيء منها إلا إذا طابت نفسهن بذلك: ذكر

هنا التشديد عليهن فيما يأتينه من الفاحشة، وهو في الحقيقة إحسان إليهن، إذ الإحسان في الدنيا تارة يكون بالثواب، وأخرىٰ بالزجر والعقاب، لكفّ العاصي عن العصيان الذي يوقعه في الدمار والبوار، ومبنى الشرائع علىٰ العدل والإنصاف والابتعاد عن طرفي الإفراط والتفريط. ومن أقبح العصيان الزنا، ولا سيما من النساء، لأن الفتنة بهن أكثر، والضرر منهن أخطر، لما يفضي إليه من توريث أولاد الزنا وانتسابهم إلىٰ غير آبائهم»[3]

ثم نلحظ ملمحاً آخر من ملامح الحفظ للمرأة في هذه الآية الكريمة، والتخفيف من التكاليف عنها، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿*فاستشهدوا عليهن أربعة منكم*﴾ أي اطلبوا شهادة أربعة رجال أحرار منكم. قال الزهري: «مضت السنة من رسول الله والخليفتين بعده ألا تقبل شهادة النساء في الحدود» والحكمة في هذا إبعاد النساء عن مواقع الفواحش والجرائم والعقاب والتعذيب رغبةً في أن يكنّ دائماً غافلات عن القبائح: لا يفكرن فيها، ولا يخضن مع أربابها»[3]

إنه تخفيف من قيود قد تأخذ من وقت المرأة، وتشغلها عن أداء رسالتها، حين تهتم بهذه الشهادات، وتضطر إلىٰ الإدلاء بها للمحققين، ثم أمام المحاكم.

حماية للنساء العفيفات

وأخيراً: فإننا لو تدبرنا في هذا التشديد علىٰ المرأة التي تأتي الفاحشة، والتضييق عليها فيها، لوجدنا فيهما، أي التشديد والتضييق، حماية للنساء

العفيفات، وحماية لبيوتهن وأزواجهن، لأن المرأة سترتكب فاحشة الزنا مع رجل، وقد يكون هذا الرجل متزوجاً، والأذىٰ الناتج عن هذه الجريمة سيلحق بزوجته العفيفة، وبأولادها، وقد يؤدي إلىٰ هدم أسرة ودمار بيت.

ولعل هذا يوضح لماذا أمر الله تعالىٰ في نهاية الآية نفسها: بحبس المرأة التي ترتكب الفاحشة في البيت: حتىٰ يتوفاهـا الموت: ﴿.. ***فأمسكوهن في البيوت حتىٰ يتوفّاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً***﴾، لأن في خروج المرأة المرتكبة للفاحشة من البيت: إتاحة لفرصة جديدة أمامها قد تكرر فيها ارتكاب الفاحشة. يقول الإمام الرازي: «والحكمة فيه (أي الحبس في البيت) أن المرأة إنما تقع في الزنا عند الخروج والبروز، فإذا حبست في البيت لم تقدر علىٰ الزنا، وإذا استمرت علىٰ هذه الحالة تعودت العفاف والفرار من الزنا»[٤]

حتىٰ مع القول بأن هذه الآية منسوخة بحديث رسول الله ﷺ: «***خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً: الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام***» وبقوله تعالىٰ في سورة «النور»: ﴿***الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين***﴾ النور٢: فإن في الآية والحديث حماية للمرأة العفيفة من المرأة الزانية من وجهين:

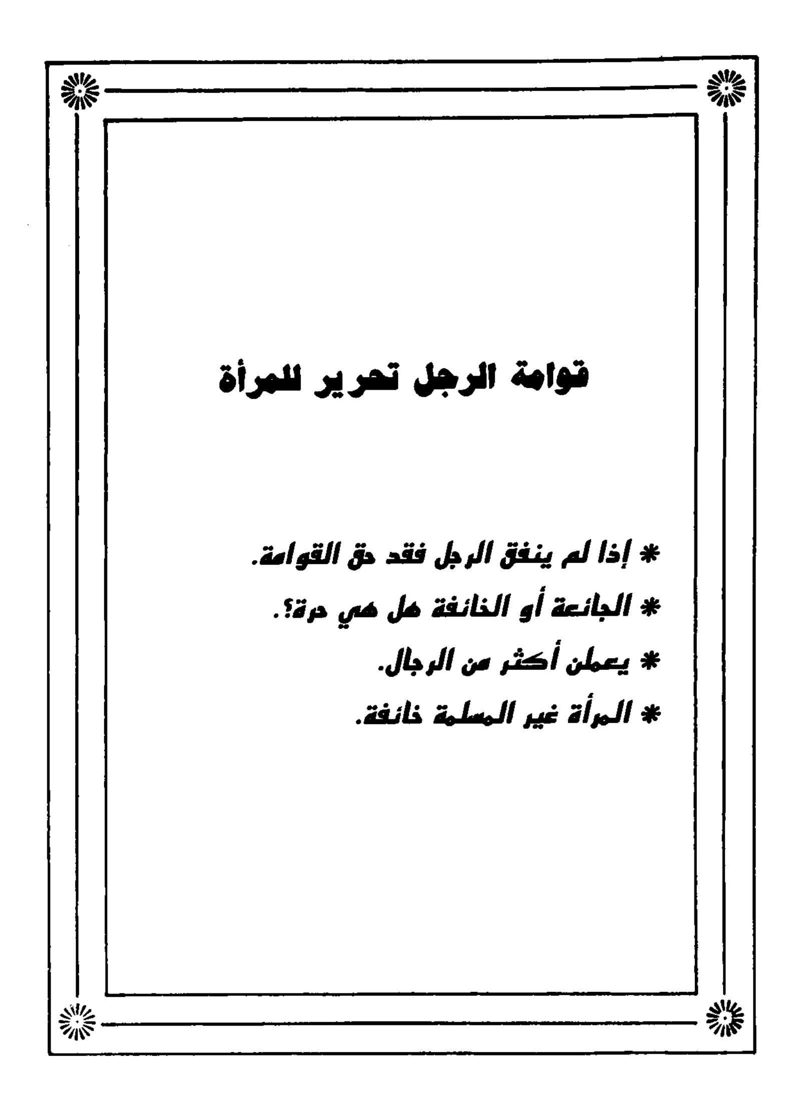
١ـ في إقامة الحد علىٰ المرأة الزانية ألم جسدي وألم نفسي، فالألم الجسدي ظاهر في عملية الجلد والدعوة إلىٰ عدم أخذ الرأفة في تنفيذها. والألم النفسي في إحساس المرأة بأنها ذُلّت وفُضحت. وهذان الألمان يجعلان المرأة تخشىٰ الزنا وتبتعد عنه.

٢ ـ شهود طائفة من المؤمنين عذاب الزانية فيه: «إغلاظ عليها وتوبيخ بحضرة الناس، وأن ذلك يردع المحدود، ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لأجله، ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده»[٥] كذلك فإنها تُعرف لدىٰ النساء فيحذرنها، ويحذرن مخالطتها واقترابها من أزواجهن.

وهكذا فالتضييق علىٰ المرأة حتىٰ لا ترتكب فاحشة الزنا، والتشديد عليها في العقوبة، ليس سلباً لحريتها، بل هو حفظ لها، وصيانة لنفسها، وتوفير لأمنها.

فالمرأة المتزوجة السعيدة الآمنة: التي يوفر لها زوجها الحماية والنفقة والرعاية، تمتلك حرية حقيقية في تلبية فطرتها، والاستمتاع بحياتها. لكن هذه المرأة ستفقد حريتها حين يبدأ زوجها بالتقليل من النفقة، والتهرب من المسؤوليات، وعدم معاشرتها: لأنه بدأ يزني بامرأة اتخذها عشيقة ينفق عليها من مال هو حق زوجته وأولاده، ويمضي معها وقتاً هو من حق زوجته وأولاده، ويعاشرها معاشرة هي من حق زوجته... أفليس ارتكاب تلك المرأة لفاحشة الزنا مع زوج المرأة العفيفة: قد سلب هذه الأخيرة حريتها، وأمنها، ونفقتها...!

(١) التفسير الكبير ـ ج ٩ ـ ص ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ٥ ـ ص ٨٢.
(٣) و (٣) تفسير المراغي ـ ص ٢٠٥.
(٤) التفسير الكبير ـ ج ٩ ـ ص ٣٣٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ١٢ ـ ص ١٦٧.



قوامة الرجل تحرير للمرأة

* إذا لم ينفق الرجل فقد حق القوامة.
* الجائعة أو الخائفة هل هي حرة؟.
* يعملن أكثر من الرجال.
* المرأة غير المسلمة خائفة.

قوامة الرجل.. تحرير للمرأة

قوامة الرجل علىٰ المرأة، هل هي قيد عليها أم قيد علىٰ الرجل؟
ومن ثم، إذا كانت القوامة قيداً علىٰ الرجل أكثر مما هي قيد علىٰ المرأة فإن القوامة تكون، عندها، عاملاً من عوامل تحرير المرأة أكثر من كونها عاملاً من عوامل تكبيلها وتقييدها.

يقول الله تعالىٰ:
﴿*الرجال قوامون علىٰ النساء بما فضّل الله بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله*﴾ النساء ٣٤.

تُلزم هذه الآية الرجل بحماية المرأة، والدفاع عنها، والإنفاق عليها. يقول القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: «﴿*الرجال قوامون علىٰ النساء*﴾ ابتداء وخبر، أي يقومون بالنفقة عليهن والذبّ عنهن»[1]

إذا لم ينفق الرجل فقد حق القوامة

وإذا لم يقم الرجل بالإنفاق علىٰ المرأة.. لم يكن له حق القوامة عليها، فإذا كانت هذه المرأة زوجته كان من حقها طلب الطلاق: «فَهِمَ العلماء من قوله تعالىٰ: ﴿*وبما أنفقوا من أموالهم*﴾ أنه متىٰ عجز (الزوج) عن نفقتها لم يكن قوّاماً عليها، وإذا لم يكن قوّاماً عليها كان لها فسخ العقد:

لزوال المقصود الذي شُرع لأجله النكاح. وفيه دلالة واضحة، من هذا الوجه، علىٰ ثبوت فسخ النكاح عند الإعسار بالنفقة والكسوة: وهو مذهب مالك والشافعي»[٢]

وقال ابن المنذر: اتفق أهل العلم علىٰ وجوب نفقات الزوجات علىٰ أزواجهن إذا كانوا جميعاً بالغين إلا الناشز منهن الممتنعة. ولا تسقط نفقة المرأة عن زوجها لشيء غير النشوز: لا من مرض، ولا حيض، ولا نفاس، ولا صوم، ولا حج، ولا مغيب زوجها، ولا حبسه عنها في حق أو جور.[٣]

ويقول الرازي في تفسيره: ذكر تعالىٰ في هذه الآية أنه إنما فضّل الرجال علىٰ النساء في الميراث، لأن الرجال قوامون علىٰ النساء، فإنهما وإن اشتركا في استمتاع كل واحد منهما بالآخر، أمر الله الرجال أن يدفعوا إليهن المهر، ويدروا عليهن النفقة، فصارت الزيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر، فكأنه لا فضل البتة، فهذا هو بيان كيفية النظم.[٤]

ويشرح القوامة فيقول: «القوّام، اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر، يقال: هذا قيّم المرأة وقوّامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها»[٥]

ويبين أحد وجهي قوله تعالىٰ: (بما حفظ الله) وأنه علىٰ تقدير: حفظ الله لهن، والمعنىٰ أن عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن علىٰ أزواجهن، حيث أمرهم بالعدل عليهن، وإمساكهن بالمعروف، وإعطائهن أجورهن، فقوله (بما حفظ الله) يجري مجرىٰ ما يقال: هذا بذاك، أي هذا في مقابلة ذاك»[٦]

أفليست القوامة، بعد هذا البيان، قيداً علىٰ الرجل أكثر مما هي قيد علىٰ المرأة؟

الجائعة أو الخائفة هل هي حرة؟

إن تحميل المرأة مسؤولية نفقتها علىٰ نفسها، وتحميلها تأمين دخل لها تلبي به حاجاتها المستمرة: يشكل قيداً قاسياً، يأخذ من طاقتها وجهدها وعافيتها، ويأخذ من وقتها وعمرها. . .

كما أن حرمانها من الحماية يحرمها الأمن، وحرمانها من الأمن ينشىء عليها قيوداً من الخوف والقلق وعدم الاستقرار. . .

إن أعز نعمتين هما نعمة الأمن، ونعمة الكفاية في الرزق، وهما النعمتان اللتان امتنّ الله تعالىٰ بهما علىٰ قريش: ﴿*لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف*﴾.

فكيف للمرأة غير الآمنة، والمرأة الجائعة: أن تكون حرّة؟ أي حرية هذه مع الجوع والخوف؟

إن قوامة الرجل علىٰ المرأة تلزمه بأن يحمي المرأة من الخوف، ويحميها من الجوع، أي أن يحمي لها حريتها الحقيقية من قيدي الخوف والجوع، ليوفر لها حياة تمارس فيها رسالتها التي خلقت لها، والتي فطرت عليها.

فهل يكون جرّ المرأة للعمل: من أجل كسب قوتها ـ بعد هذا ـ مظهراً من مظاهر حريتها. . .؟!

أم أنه قيد من القيود التي وضعوها في يدي المرأة: وهي تحسب أنه تحرير لها؟ تقول الروائية الإنكليزية الشهيرة أجاثا كريستي: (إن المرأة مغفلة: لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً، يوماً بعد يوم، فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق: لأننا بذلنا الجهد الكبير، خلال السنين الماضية للحصول علىٰ حق العمل.. والمساواة في العمل مع الرجل. والرجال ليسوا أغبياء: فقد شجعونا علىٰ ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً في أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج.

ومن المحزن أننا أثبتنا ـ نحن النساء ـ أننا الجنس اللطيف الضعيف، ثم نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللذين كانا من نصيب الرجل وحده).[٧]

يعملن أكثر من الرجال

ولقد فطنت المحامية الفرنسية كريستين إلىٰ هذه الحقيقة حين زارت الشرق المسلم، فكتبت تقول: (سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كل من بيروت ودمشق وعمّان وبغداد، وها أنذا أعود إلىٰ باريس.. فماذا وجدت؟ وجدت رجلاً يذهب إلىٰ عمله في الصباح.. يتعب.. يشقىٰ.. يعمل.. حتىٰ إذا كان المساء عاد إلىٰ زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حب، وعطف، ورعاية لها ولصغارها.

الأنثىٰ في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية جيل، والعناية بالرجل الذي تحب، أو علىٰ الأقل بالرجل الذي كان قدرها. في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل قد وفّر لها خبزاً وحباً وراحة ورفاهية، وفي بلادنا، حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة، فماذا حققت؟

انظر إلىٰ المرأة في غرب أوروبا فلا ترىٰ أمامك إلا سلعة، فالرجل يقول لها انهضي لكسب خبزك: فأنت قد طلبت المساواة، وطالما أنا أعمل فلا بد من أن تشاركيني في العمل لنكسب خبزنا معاً. ومع الكد والتعب والعمل لكسب الخبز تنسىٰ المرأة أنوثتها، وينسىٰ الرجل شريكته في الحياة، وتبقىٰ الحياة بلا معنىً ولا هدف). [٨]

ولنتأمل في ما قالته الكاتبة الروسية مايا جانينا في مقابلة مع مجلة «موسكو نيوز» الأسبوعية، ففيه إشارات واضحة أخرىٰ، إلىٰ القيود التي تكبّل المرأة في الاتحاد السوفييتي، بسبب تحملها بنفسها تأمين حاجاتها:

«السوفييتيات مضطهدات في مجتمع عاجز عن توفير احتياجيات أساسية كالمأكل والملبس».

«إن النساء لا يزلن يفتقرن إلىٰ تكافؤ الفرص، حيث إنهن يعملن أكثر من الرجال: فيقمن بأعمال التنظيف والطهي والعناية بالصغار بعد أن يؤدين أعمالهن اليومية في المصانع والمزارع».

ويتخذ الرجال موقفاً، يتسم بعدم الاكتراث، من أنماط الحياة المفروضة علىٰ النساء، في بلد تضيع فيه ملايين الساعات كل عام: بسبب الاصطفاف في طوابير أمام متاجر الغذاء».

وتضيف «جانينا» التي تعيش مع زوجها في منطقة ريفية خارج موسكو «إن الوضع يتسم بخطورة خاصة في الريف، حيث تقوم النساء بأشق الأعمال في الفلاحة، فضلاً عن جمعهن خشب الوقود، والعناية بالماشية، وضخ المياه».

«وفي مقابل ذلك يجدن فراغاً روحياً، وأدوات منزلية باهظة التكاليف، وجرارات كثيرة الأعطال، وملابس رديئة النوع».[9]

المرأة غير المسلمة.. خائفة

وهكذا، في غياب أحد عمودي القوامة، وهو النفقة، تفقد المرأة حريتها، فتنفق جهدها، وعافيتها، وكثيراً من ساعات عمرها: في تأمين دخل لها، وتوفير قوتها، وتفقد مع هذا أنوثتها التي هي سر وجودها، والتفرغ لأمومتها التي هي معنىٰ حياتها.. ورِيُّ فطرتها.

فكيف يكون حالها، في غياب عمود القوامة الآخر، وهو الحماية؟

التقارير العالمية عن معاناة المرأة كثيرة، متعددة، يصعب عرضها هنا، لكن هذا لا يمنع من عرض بعض الأرقام، للإشارة العاجلة فحسب:

ثلاثة أرباع النساء في ألمانيا الغربية يشعرن بالخوف، خارج المنزل، عند حلول الظلام. وفي المدن الألمانية الكبرىٰ التي يزيد عدد سكانها عن نصف مليون نسمة... ترتفع نسبة هؤلاء النساء اللواتي يشعرن بالفزع من الخروج ليلاً.. إلىٰ ٨٥٪.

وحسب استطلاع للآراء أجراه معهد «إنفاس» للإحصائيات بطلب من مجلة «شتيرن» الألمانية الأسبوعية: تخاف النساء بصفة خاصة من التجول في أماكن مقفرة. أما القاطنات في المدن الكبرىٰ فيخشىٰ نصفهن من المرور عبر الحدائق العامة، كما تشعر ٣٣٪ من هذه الفئة بالخطر في محطات «المترو» ولا يشعر ٢٠٪ بالاطمئنان حتىٰ أثناء السفر في وسائل النقل هذه ليلاً.[10]

وفي الولايات المتحدة: حصر علماء النفس المخاوف الرئيسية التي تشغل بال المرأة الأميركية. أهم هذه المخاوف: «الخوف من الفقر» فالكثيرات يخشين ألا يتمكّن من تأمين ضروريات الحياة.. كالطعام والملبس والمأوىٰ. كما أن المرأة الأميركية تخاف ألا تتمكن من إعالة نفسها عندما تشيخ فتضطر للاستعانة بالحكومة. ويقول الدكتور هارفي روبن: «إن النساء يخشين الفقر أكثر من الرجال».

وتخاف المرأة الأميركية من أن يرفضها من تحبه، فالزوجات اللواتي أنفقن السنوات من أعمارهن لتربية أطفالهن.. يتحسسن حساسية خاصة من أن يتعرضن للرفض أو الهجر. كما أن النساء الكبيرات يُطلّقن بعد ٣٥ سنة من الزواج مثلًا.. دون أن تكون عندهن وسيلة لإعالة أنفسهن.

ثم يأتي خوفها من فقدان الصحة: فهي تخشىٰ من أن ضياع صحتها سيجعلها تبدو كبيرة هرمة.. فضلاً عن أن فقدان صحتها سيحرمها من القدرة علىٰ رعاية أفراد عائلتها.

وأخيراً يأتي الخوف من خسارة استحسان المجتمع.. فبعض النساء ـ في رأي الدكتور روبن ـ يشعرن بضرورة انتمائهن إلىٰ المجتمع.. ويبذلن الكثير من الجهد حتىٰ يكنّ مقبولات اجتماعياً.. إلىٰ درجة أن ينتهي بهن الأمر إلىٰ أن يسيطر عليهن القلق وتظل حياتهن غير متوازنة.[11]

بعد هذا كله: أليست القوامة تحريراً للمرأة.. قيداً علىٰ الرجل!



(١) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ٥ ـ ص ١٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ٥ ـ ١٦٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ـ ج ٥ ـ ص ١٧٤ .

(٤) التفسير الكبير ـ ج ١٠ ـ ص ٨٧ .

(٥) التفسير الكبير ـ ج ١٠ ـ ص ٨٨ .

(٦) التفسير الكبير ـ ج ١٠ ـ ص ٨٩ .

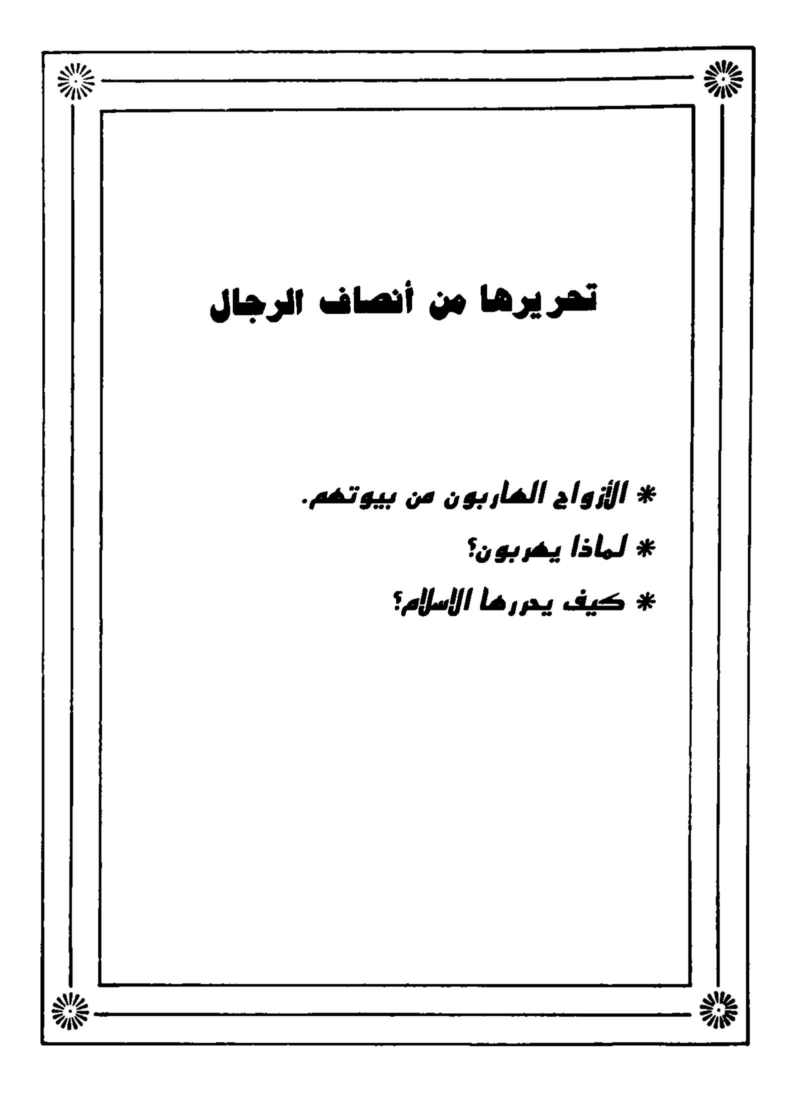
(٧) مجلة «النور» الكويتية ـ العدد ٥٦ .

(٨) إلىٰ مؤمنة ـ ص ٨٦، ٨٧ .

(٩) مجلة «النور» الكويتية ـ العدد ٥٧ .

(١٠) رسالة إلىٰ حواء ـ ج ٢ ـ ص ٢٠ .

(١١) رسالة إلىٰ حواء ـ ج ٢ ـ ص ٨٣ .



تحريرها من أنصاف الرجال

* الأزواج الهاربون من بيوتهم.
* لماذا يهربون؟
* كيف يحررها الإسلام؟

تحريرها من أنصاف الرجال

«أنصاف الرجال».

قيد من القيود التي تُفقد المرأة عامة، والمرأة المعاصرة خاصة، جانباً كبيراً من أمنها النفسي وأمنها الاقتصادي.

وهو قيد: لأنه يحمّلها مسؤوليات جديدة، وأعباء إضافية، كانت من مسؤوليات الرجل وأعبائه.

و«أنصاف الرجال» هؤلاء هم رجال: لكنهم لا يقومون بما يجب أن يقوموا به من أعمال، ولا يحملون ما ينبغي عليهم أن يحملوه من مسؤوليات، ومن ثم يتركون المرأة تواجه وحدها مصاعب جديدة، تقلل وقت راحتها أو تلغيه، وتقلل ما في يديها من مال.. إن لم تزد حاجتها إلىٰ المال من أجل تلبية حاجات أساسية لها.. ولأولادها إن كانت أماً.

وإذا كان أنصاف الرجال هؤلاء قلة في الأزمان الماضية: فإنهم كثيرون في هذا الزمان، وهم يزيدون يوماً بعد آخر، ومع زيادتهم يزيد عدد النساء المبتليات والخاضعات لهذا القيد الجديد.

إنه قيد يكبّل المرأة، إذ كيف تكون المرأة حرة وهي محاطة بمشكلات جديدة ألقاها الرجل، أو نصف الرجل، ومضىٰ لا يلوي علىٰ شيء؟!

الأزواج الهاربون من بيوتهم

إن المرأة الغربية اليوم، والمفترض أنها نالت حريتها، هي أكثر من تعاني من هذا القيد، وتتحمل من تكبيله لها، وتضييقه عليها: الشيء الكثير.

وأرجو أن تقرؤوا معي تقريراً عن نوع واحد من أنصاف الرجال الذين يزيدون في الغرب، وهم الأزواج الهاربون من بيوتهم في بريطانيا تاركين زوجاتهم وأولادهم دون رعاية ونفقة، ومحمّلين زوجاتهم أعباء ومسؤوليات جديدة.

جاء في التقرير:

«الأسرة الإنكليزية تعيش، منذ فترة، أزمة اجتماعية ونفسية خاصة.. وأسباب الأزمة تعود إلىٰ أن الكثيرين من الأزواج يهجرون بيوتهم، أو يهربون منها، تاركين زوجاتهم وأولادهم يعيشون حالة نفسية، تمتزج فيها مشاعر الأحزان والحيرة واليأس.

وتشير التقارير الخاصة بموضوع هرب الأزواج من بيوتهم متسائلة:

تصوروا كيف تكون مشاعر امرأة خرج زوجها لشراء قنينة حليب ولم يعد قط إلىٰ بيته.. كيف ستواجه المشكلة وهي لا تعرف إذا كان زوجها علىٰ قيد الحياة أو لقي مصرعه؟

ومثل هذه الأزمة تعيشها أو تجسدها الممثلة «روزماري ليج» وهي تمثل مسرحية عنوانها «مغادرة البيت»، والقصة ليست خيالية، بل هي قصة

واقعية، تعالج مشكلة الأزواج الذين يهربون من بيوتهم بأعداد كبيرة سنوياً في بريطانيا، وأمام هذا الوضع تعيش الزوجات مع أولادهن وضعاً يتسم بالحيرة والاضطراب النفسي دون أن يعرفن إذا كن سيجدن أزواجهن أم لا.. وتقول «جوليا كيرسلي» التي كتبت مسرحية «مغادرة البيت» بأن القضية أشبه ما تكون بحياة الموت أمام هرب الأزواج: حيث تعيش الأسرة وضعاً نفسياً سيئاً لشعورها بأنها أصبحت منبوذة.

وتقول الكاتبة المسرحية بأنه من السهل علىٰ الأسرة مواجهة حالة الموت من خلال الحزن علىٰ فقيدها، ولكن في حالة الهرب تترك الأسرة في حالة من الإهمال واليأس دون أن تعرف أسباب هرب الزوج وأين هرب.

ولقد لجأت الكاتبة إلىٰ كتابة مسرحيتها عندما واجهت، بشعور مأساوي، ظاهرة تزايد حالات هرب الأزواج وهم في الغالب رجال في منتصف أعمارهم، يخرجون من بيوتهم ولا يعودون إليها.

لماذا يهربون؟

وتعلل الكاتبة هذه الظاهرة بقولها بأن أسباب هرب الأزواج مختلفة ومتنوعة. والبعض من الأزواج يهربون لعدم استطاعتهم التكيف مع الضغوط، أو لا يستطيعون تحمل مسؤولية الأسرة، والبعض الآخر يشعرون بالملل بحيث يهربون لقناعتهم بأنهم سيحققون سعادتهم بطريقتهم الخاصة، أو من خلال العيش وحدهم.

وتقول الكاتبة بأن هناك حالات من فقدان الذاكرة حيث يفقد الرجل فجأة ذاكرته وينتهي به المطاف ببناء حياة جديدة لنفسه مقطوعة الجذور

عن ماضيه، وبذلك تعيش الأسرة المنكوبة فترة حافلة بأسباب القلق والصراعات النفسية، فرب الأسرة كان يشكل دعامة البيت وبعد هربه تنهار الأسرة لعدم قدرتها علىٰ تلبية حاجتها الاقتصادية والمعيشية.

وأمام مثل هذا الوضع المأساوي ماذا تفعل إذا ما وجدت نفسها مهجورة تركت مع أطفال يحتاجون الغذاء.

ويقول «روبن انفلش» وهو باحث اجتماعي يعمل في الخدمة الاجتماعية العائلية بأن الناس بحاجة إلىٰ دعم عاطفي، إضافة إلىٰ الدعم الاقتصادي، وذلك لأن الزوجة والأبناء يشعرون بأنهم منبوذون. ويقول الباحث الاجتماعي بأن الأبناء لا يستجيبون بسرعة لهذه الأوضاع ولذلك فسيعبرون عن حالات إحباطهم وغضبهم بطرق مختلفة فيما بعد. وأمام ذلك فهو يقول بأن النصيحة الأولىٰ للعوائل المهجورة هي دفعها لمراجعة المراكز الخاصة بالخدمة الاجتماعية لتتلقىٰ المشورة والإرشادات والمساعدة علىٰ دفعها لممارسة حياتها والاعتماد علىٰ نفسها وإيجاد العمل المناسب لتوفير حاجاتها الاقتصادية والمعيشية، وبذلك تستطيع الأسرة الوقوف علىٰ قدميها بدلاً من مواجهة انهيارها وتفككها.[1]

وإذا كان الأزواج السابقون يهربون من بيوتهم بأجسادهم ونفوسهم، فإن هناك كثيرين غيرهم يهربون مع ترددهم علىٰ بيوتهم، يهربون من الإنفاق علىٰ زوجاتهم وأولادهم، بل يأخذون نفقتهم من زوجاتهم إذا كُنّ عاملات أو مالكات للمال، أو يدفعونهن لبيع مصوغاتهن ومجوهراتهن لينفقوا منها علىٰ أنفسهم، وأحياناً علىٰ شهواتهم وملذاتهم، دون حمل لمسؤولية الإنفاق.

ومن الأزواج من قد يتحمل مسؤولية الإنفاق، لكنه لا يحمل واجبات تربية أولاده، وتأمين حاجاتهم، ومتابعة أمورهم، وشراء الأشياء والسلع للبيت، ويترك هذا كله علىٰ زوجته لتقوم به هي: علىٰ الرغم من أنه يدخل ضمن واجباته.

كيف يحررها الإسلام؟

والإسلام العظيم: حرر المرأة من هذا القيد المكبّل لجزء من طاقة المرأة ووقتها، حين تبتلىٰ بنصف رجل، وذلك حين ألزم الرجل ـ زوجاً أم أباً أم ابناً أم أخاً ـ بحمل مسؤولياته كاملة تجاه أمه وزوجه وأخته وابنته. مسؤولية الإنفاق. مسؤولية الحماية. مسؤولية الرعاية. مسؤولية التوجيه والهداية... كما هو واضح في كثير من آيات القرآن الكريم:

ـ ﴿***لينفق ذو سعة من سعته، ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله***﴾ الطلاق ٧.

ـ ﴿***يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة***﴾ التحريم ٦.

ـ ﴿***وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسىٰ أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً***﴾ النساء ١٩.

ـ ﴿***أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم***﴾ الطلاق ٦.

وفي كثير من أحاديث الرسول ﷺ:

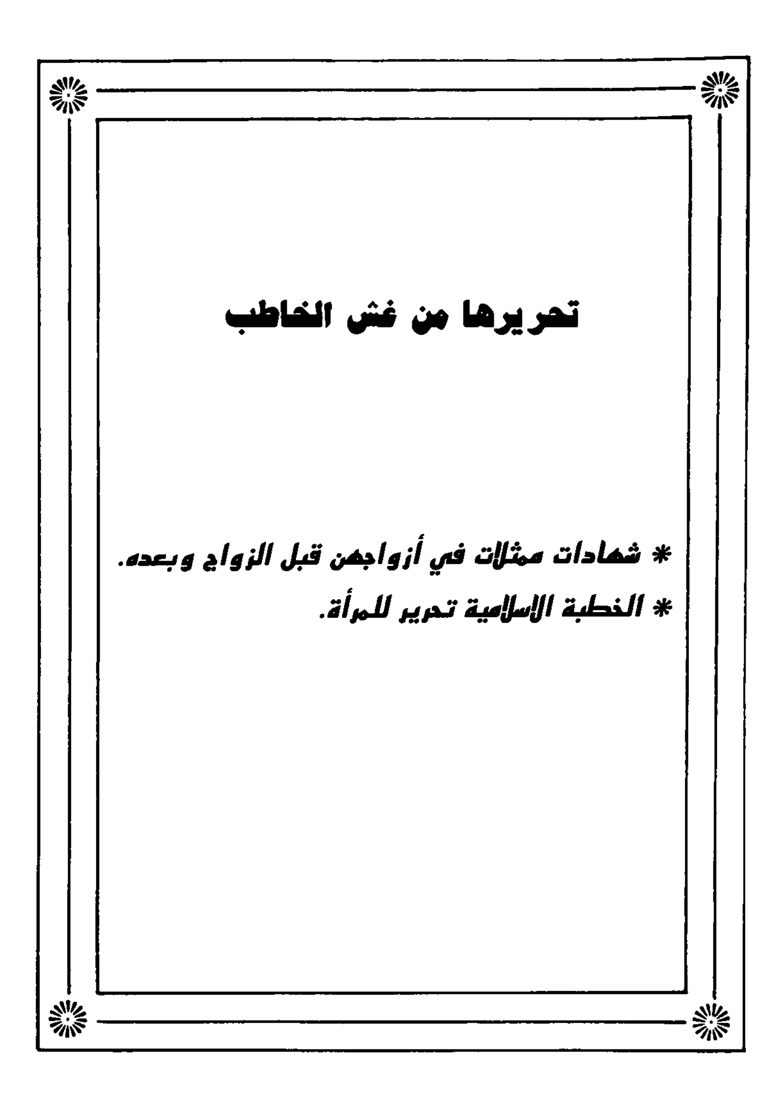
ـ «***خيركم.. خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي***» حديث صحيح.

- ***«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم لنسائهم»*** رواه الترمذي وأحمد.

- ***«ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم»*** من خطبة حجة الوداع.



(١) ملحق جريدة «الرأي العام» الكويتية الصادرة في ١٩٨٧/٨/٢٨.



تحريرها من غش الخاطب

* شهادات ممثلات في أزواجهن قبل الزواج وبعده.
* الخطبة الإسلامية تحرير للمرأة.

تحريرها من غش الخاطب

الداعون إلىٰ لقاء الخطيبين، وخروجهما معاً، دون رقيب أو حسيب، يتعللون بأن هذا ضروري ليدرس كل منهما أخلاق الآخر، ويتعرف إلىٰ طباعه، ويفهم سلوكه، وهذا كله من أجل أن ينجح زواجهما فيما بعد، فلا تكون فيه خلافات، ولا منازعات، وتستمر حياتهما الزوجية هانئة سعيدة.

هذا ما يدعون إليه ويرونه ضرورياً وهاماً.

ولقد نسي هؤلاء؛ أن كلاًّ من الخطيبين، لا يكشف عن حقيقة طباعه في فترة الخطوبة، بل يظهر من المودة لصاحبه ما يرسم به صورة غير مطابقة لشخصيته، كما أن عاطفة الحب التي تنمو باطراد في هذه الفترة؛ تجعل العين تغضي عن كثير من مساوىء الطرف الآخر وعيوبه.

شهادات ممثلات في أزواجهن.. قبل الزواج وبعده

وأرىٰ مناسباً، في هذا الشأن، أن أنقل ما نشرته صحيفة أجنبية من أقوال لمجموعة من مشاهير الممثلين والممثلات، قبل زواجهم، ثم ما قالوه بعده.

* قال ريتشارد بيرتون عن اليزابيث تايلور قبل زواجه منها:

- جسد اليزابيث معجزة صنعها مهندس متميز العبقرية.

وقال بعد الزواج :

- ***إنها سمينة جداً . . وساقاها قصيران جداً .***

* قالت اليزابيث تايلور عن زوجها الأول كونراد هيلتون قبل الزواج :

- إنه يفهمني كامرأة . . وهو يفهمني أيضاً كممثلة .

وقالت بعد الزواج :

- ***بعد أن تزوجت سقطتُ من سمائي الوردية بشدّة . لقد فقدت بعض وزني . . ولم أعد آكل إلا طعام الأطفال .***

* قالت انغريد بيرغمان قبل زواجها من زوجها الثاني روبرتو وسيليني :

- نحن نحب بعضنا بجنون ، إنه رجل حيوي ، ويجعلني أحب الحياة .

وبعد الزواج :

-***روبرتو وأنا في الواقع . . مختلفان جداً .***

* قالت مارلين مونرو قبل زواجها من زوجها الثاني جوديماغيو:

- إن عمله كرجل . . رائع ومثير.

وبعد الزواج :

- ***كل ما كان يفعله هو مشاهدة رعاة البقر في التلفزيون .***

* قالت زازا غابور قبل زواجها من زوجها الثالث جورج ساندرز:

- إنني أحبه كثيراً .

وبعد الزواج :

-***كانت المشكلة هي أنني أنا وهو كنا نحبه*** (إشارة إلىٰ حبه نفسه فقط) .

* وقالت زازا غابور أيضاً قبل زواجها من زوجها الثاني كونراد هيلتون :

ـ إنه مثل قطعة سكر. . لكن من الماس.
وبعد الزواج:
ـ أنا لم أكره رجلًا بهذا القدر. . حتى أنني أعدت إليه ماساته.

* وقالت بريجيت باردو عن زوجها الأول روجيه فاديم:
ـ إنه يرشدني ويشجعني ويعلمني أن أكون شجاعة.
وبعد الزواج:
ـ أنا أحب زوجي. . لكن أحب جان لوي ترينتنيان أكثر.

* وقالت بريجيت باردو أيضاً عن زوجها الثاني جاك شارييه:
ـ أحبه كثيراً. . إلى درجة أنني أحس أن ألمه هو ألمي.
وبعد الطلاق:
ـ كان مشكلة كبرى في حياتي.

* وقالت ريتا هيوارث عن زوجها الأول إدوارد جورسون:
ـ لقد هربت معه. . لأنه يملك كل ما تحلم به فتاة. وليس هناك رجل غيره قادر على إقناعي بصبغ شعري باللون الأحمر. وبإنزال وزني ٣٠ باونداً.
وبعد الزواج:
ـ لقد عاملني وكأنني لا أملك عقلًا أو روحاً يخصانني.

* وقالت ريتا هيوارث أيضاً ولكن عن زوجها الثاني أورسور ويلز:
ـ هذا بالتأكيد أفضل ما في حياتي.
وبعد الزواج:
ـ لم أعد أحتمل عبقريته زمناً أطول.

* وقالت ريتا هيوارث نفسها ولكن عن زوجها الثالث الأمير علي خان :
- إنه أمير أمرائي !
وبعد الزواج :
- ***علي خان يستطيع أن يفعل ما يريد . . وأنا من ضمن ما يفعل!***

* وقالت ريتا هيوارث ولكن عن زوجها الرابع ديك هايمز:
- سوف أتبعه إلىٰ أي مكان في العالم!
وبعد الزواج :
- ***لست أدري أين هو . . ولست أبالي أي يكون!***[1]

الخطبة الإسلامية تحرير للمرأة

أرأيتم : أشهر ممثلات وممثلي السينما في العالم ؛ تجعلهم العاطفة ، التي تكون عادة غير مبصرة ، يقولون كلاماً طيباً قبل الزواج ، أو في أيامه الأولىٰ ، ثم ينقضون ما قالوه ، ناسينه أو غافلين عنه ، بعد فترة من الزواج طويلة نسبياً ، أو بعد أن يتم الطلاق . . !

فأين دعاة اختلاط الخاطبين الذين يقولون إن اختلاط الخطيبين ، وخلوتهما ، لابد منهما لدراسة كل منهما طباع الآخر واختبار أخلاقه؟

هل هناك أكثر من ممثلي السينما تحرراً واختلاطاً؟ لماذا تخفق زيجات معظمهم؟ سواء أكانوا من ممثلي الشرق والغرب . . ؟ العرب أو الأجانب؟

ليتكم تعيدون قراءة كلمات الممثلين والممثلات التي نقلتها لكم قبل أسطر قليلة ، وتتأملون فيها ، وبخاصة أولئك الممثلات اللواتي تزوجن

أكثر من زوج وانفصلن عنهم جميعاً، مثل الأخيرة «ريتا هيوارث» التي لم تنفع تجربتها الفاشلة مع زوجها الأول، ولا مع زوجها الثاني، ولا مع زوجها الثالث، حتىٰ تراقب كلامها في زوجها الرابع، وتتفكر فيه، قبل أن تثني عليه قبل زواجها منه. . . ثم تتراجع ـ كالعادة ـ عن كلامها الجميل نحوه. . . لتعبر عن كراهيتها له. . . !

إن هذا كله. . شهادة أخرىٰ للخطبة الإسلامية، التي تقوم، علىٰ أساس الدين، وأساس الخلق: ***«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»*** رواه الترمذي. ***«. . . فاظفر بذات الدين تربت يداك»*** رواه مسلم. ***«الدنيا متاع. . وخير متاعها المرأة الصالحة»*** رواه مسلم.

وفي الخطبة الإسلامية أيضاً؛ تحرير للفتاة من غشّ الخاطب، وعبثه بعواطفها، وإيهامه لها بصلاحه. في حين أن وليها، عادة، أعلم منها بخلق هذا الخاطب، لأنه ينظر إليه بعقله لا بعاطفته، وقد سأل عنه رفاقه وزملاءه ومعارفه، ووضع هذا كله في الميزان فزانه؛ قبل أن يقبل بخطبته لابنته أو أخته.

ولقد أكد العلماء في الغرب تلك الحقيقة، حقيقة أن كلاً من الخطيب والخطيبة يخفي نفسه عن الآخر، ويرتدي قناعاً يغطي ملامحه الحقيقية، وطباعه المتأصلة. وهذا نص الخبر الذي أشار إلىٰ هذه الحقيقة:

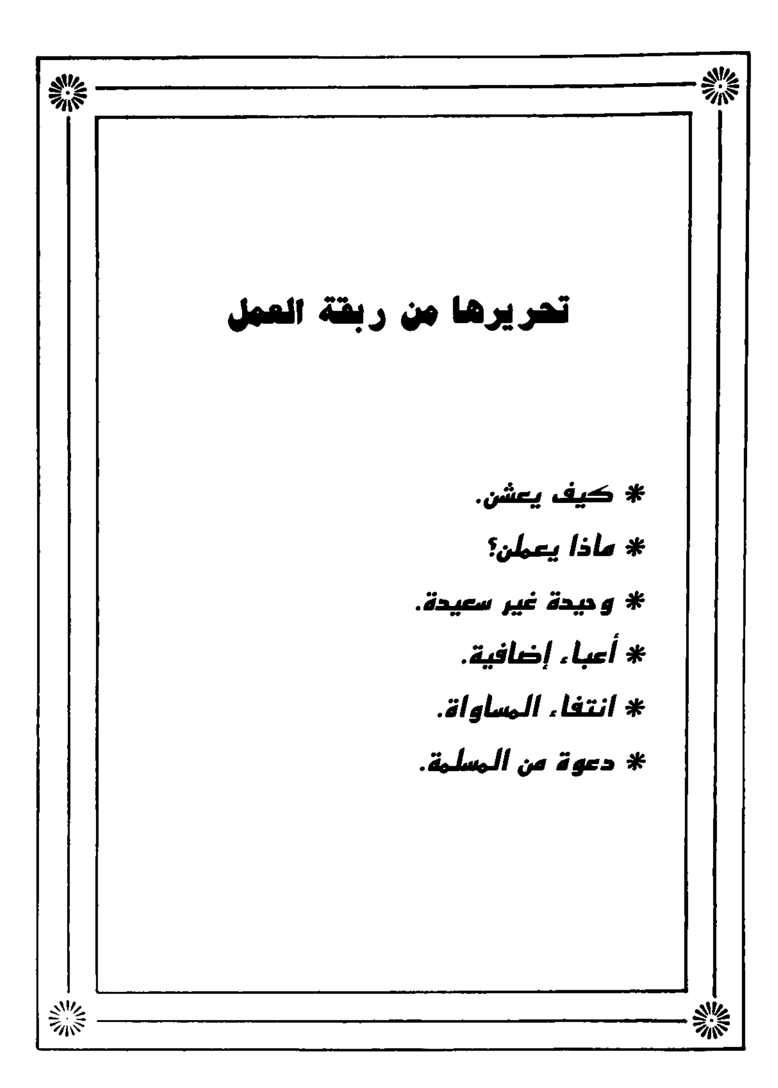
«كان الاعتقاد الشائع، حتىٰ في الأوساط الطبية، أن السنة الأولىٰ من الحياة الزوجية؛ هي الأكثر خطورة، حيث يقع الزوجان الشابان تحت

وطأة توتر عصبي كبير، وضغط مرهق، علىٰ الصعيد النفسي و الذهني أيضاً. إلا أن الدراسات الأخيرة، التي أجريت في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، بيّنت بشكل أكيد: أن فترة الخطوبة هي الأكثر ضغطاً، والتي تسبب أكثر ما يمكن من التوتر العصبي.. للاثنين علىٰ حد سواء.

الدراسة التي أجريت علىٰ أكثر من ستة آلاف شخص بين رجل وامرأة، بيّنت أن فترة الخطوبة، أو المعرفة الأولية بين الاثنين، هي الأكثر خطورة، وأن السبب الأول والأخير في ذلك التوتر.. أن الاثنين يمارسان اللعبة نفسها: كل يخفي نفسه عن الآخر، ولا يتم هذا بسوء نية إلا في القليل النادر، غير أن رغبة كل منهما في الحصول علىٰ الآخر؛ تجعله يخفي بعض الأمور عنه، ويضع قناعاً يخفي الحقيقة».[٢]

(١) نشرته «القبس» مترجماً إلىٰ العربية في ملحق عددها ٥٦١٣ الصادر في ١٩٨٧/١٢/٢٨.

(٢) القبس ـ العدد الصادر في ١٩٨٩/٨/١٩.



تحريرها من ربقة العمل

* كيف يعش.
* ماذا يعمل؟
* وحيدة غير سعيدة.
* أعباء إضافية.
* انتفاء المساواة.
* دعوة من المسلمة.

تحريرها من ربقة العمل

كيف هي حواء في العام ٢٠٠٠؟

«النساء عام ٢٠٠٠» كان عنوان مؤتمر وطني عقد في باريس في عام ١٤٠٧ (١٩٨٧ ميلادي) ومن أجل أن تتضح صورة وضع النساء في العام ٢٠٠٠ عرض المؤتمر تفاصيل صورة وضعها الحالي.

ومن ملامح صورة وضعها الحالي؛ هذه النسب التي تشكلها أعداد النساء:

- ٥٢ في المائة من مجمل السكان.
- ٤٣ في المائة من مجمل السكان العاملين.
- ٥٣ في المائة من الناخبين.
- ٥٩ في المائة من الذين تجازوا سن الستين.
- ٧ ملايين أم.

كيف يعشن؟

وإجابة عن سؤال: كيف يعشن؟ جاءت الإجابة التالية:

- قليلاً ما يعشن مع رجل في مرحلة شبابهن (٧٠ في المائة من الشابات يعشن وحيدات أو مع أوليائهن).

- *نقصت أعداد المتزوجات زواجاً شرعياً بثمانية وستين ألف امرأة*

خلال ست سنوات، فقد بلغ عددهن ٢٦٦ ألفاً في عام ١٩٨٦ بعد أن كان ٣٣٤ ألفاً في عام ١٩٨٠. وعشرون بالمائة من الولادات كانت خارج إطار الزواج.

- ٦٩ في المائة من النساء الراشدات يعملن، ومن بينهن ٧٠ في المائة من ربات الأسر. وفي الأوساط الاجتماعية المنخفضة فإن ٤٠ في المائة من النساء المتزوجات يعملن.

- أصبح متوسط أعمارهن أطول فأطول، وما زال الفارق بينهن وبين الرجال يزداد لصالحهن (٧٩,٦ في المائة مقابل ٧١,٥ في المائة).

- النساء وراء طلبات الطلاق بنسبة ٧٢,٩ في المائة.

- ارتفع عدد الأسر الأحادية الوالدين التي تكون ربتها امرأة ليبلغ ٩٠٧ آلاف أسرة في عام ١٩٨٦.

ماذا يعملن؟

وإجابة عن سؤال: ماذا يعملن؟ جاءت الإجابة التالية:

يتسم النشاط المهني للنساء بتواجدهن المتزايد في القطاع الثالث، القطاع العام، الأعمال المرنة أو غير المستقرة، وأكثر فأكثر في الأعمال التي تتطلب اختصاصاً.

وتذكر عالمة الاجتماع مارغريت مرواني بأن «التفرقة بين الجنسين موجودة»: مهنة نسائية.. مهنة رجالية، اختصاص نسائي.. اختصاص رجالي، وتلاحظ أن العمل بدوام جزئي.. مخصص للنساء؛ إذ يشمل

نسبة تصل إلىٰ ٢٥ في المائة بينما لا يمس الرجال إلا بنسبة ٢ في المائة فقط .

وعندما تكون هناك مشكلات من حيث زيادة في عدد الموظفين علىٰ حاجة المؤسسة، أو ضرورة فصل بعض العمال، فإن هذه المؤسسة تفضّل، عن طيب خاطر، تشغيل النساء بدوام جزئي، بينما ينتفع الرجال بالبطالة الجزئية، أي البطالة مع منحة تعويضية.

إضافة إلىٰ هذا؛ فإن من جملة ٤٥٥ مهنة تم إحصاؤها نلاحظ أن النساء يتواجدن بكثافة في قرابة ٢٠ مهنة فقط.

ومنذ عام ١٩٧٥ ما انفك تشغيل النساء يتزايد بينما يتناقص تشغيل الرجال، ففي كل سنة يدخل إلى سوق العمل مليون وأربعمائة ألف امرأة مقابل أربعين ألف رجل فقط. كما أن فارق الأجر بين الرجال والنساء لا يزال ـ رغم تقلصه ـ مشكلة خطيرة، إذ يكسب الرجال إجمالاً رواتب أعلىٰ بنسبة ٣٤ في المائة من رواتب النساء.

ولوحظ انخفاض عدد النساء في الأوساط السياسية والنقابية؛ فنسبتهن ٦ في المائة من النواب، و٦ في المائة أيضاً من مناصب المديرين في الإدارة، و١٤ في المائة من أعضاء المجموعات المسيّرة في النقابات، و٧ في المائة من أعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، و١٢ في المائة من مسيّري المؤسسات، و١٢ في المائة من القضاة في محكمة النقض، و١٤ في المائة من أعضاء المجالس البلدية، و٤ في المائة فقط من العُمد. وترتفع نسبتهن إلىٰ ٤١ في المائة من فناني المنوعات![1]

وحيدة.. غير سعيدة

هذه ملامح حال المرأة الفرنسية، وهي علىٰ أبواب العام ٢٠٠٠، ولا تختلف عنها كثيراً المرأة في أقطار أوروبا الأخرىٰ، وفي أميركا.

وعلىٰ الرغم من أن هذه الملامح واضحة في رسم صورة غير حسنة للمرأة هناك؛ فإن الوقوف عند بعضها قليلاً؛ يزيد في بيانها وتأكيدها.

الملمح الأول في الصورة يشير إلىٰ أن المرأة هناك وحيدة، يبتعد عنها الرجل في كثير من الأوقات، وكثير من الحالات، وهذا ما أظهرته الأرقام السابقة ومنها:

- تشكل النساء ٥٩ في المائة من الذين تجاوزوا سن الستين، أي أن عدد المسنين النساء أكثر من المسنين الرجال. ونحن نعلم أنهم في الغرب قلما يعيشون مع أمهاتهم إذا كبروا وتزوجوا، وأن أكثر أولئك النسوة العجائز يعيش في دور رعاية المسنين.

- ٧٠ في المائة من النساء الشابات يعشن وحيدات أو مع أوليائهن، أي أنهن غير متزوجات في المرحلة الأساسية للزواج، وهي مرحلة الشباب، وهذا يجعلهن يشعرن بالوحدة حتىٰ ولو كانوا مع ذويهن. ونلاحظ النسبة المرتفعة (٧٠ في المائة).

- تراجع أعداد المتزوجات زواجاً شرعياً، علىٰ الرغم من زيادة عدد السكان، يشير أيضاً إلىٰ علاقة غير مستقرة للمرأة مع رجل لا يلزمه عقد بمسؤوليات محددة تجاه المرأة التي يعاشرها.

ـ تشير عبارة (النساء وراء طلبات الطلاق بنسبة ٧٢,٩ في المائة) إلىٰ أن أغلبية الزوجات غير سعيدات في زواجهن، ومن ثم فهن يعشن في وحدة من نوع آخر؛ وحدة نفسية، علىٰ الرغم من وجود أزواج شرعيين يعيشون معهن.

ـ ومن هنا أيضاً يتضح سبب ارتفاع الأسر الأحادية الوالدين التي تكون ربتها امرأة، أي أن الزوجة هي التي ترعىٰ أولادها في غياب أبيهم، ليصل إلىٰ ٩٠٧ آلاف أسرة.

إذن، فالمرأة هناك؛ تدخل إلىٰ العام ٢٠٠٠ وهي وحيدة، غير سعيدة، لم يجلب لها ما سموه بالتحرر. . السعادة والاستقرار الحقيقيين.

أعباء إضافية

الملمح الثاني الهام في الصورة يشير إلىٰ امرأة تحمل أعباء ثقيلة خارج البيت. . إضافة إلىٰ أعباء ليست يسيرة داخل البيت، وتوضح هذا الملمح الأرقام التالية:

ـ تشكل النساء نسبة ٤٣ في المائة من السكان العاملين، أي قريباً من نسبة العاملين من الرجال. وهذا يعني أن المرأة تعمل داخل البيت وخارجه؛ بينما قليل من الرجال يعمل داخل البيت ويساعد زوجته.

ـ يزداد عدد النساء العاملات مليون وأربعمائة ألف امرأة كل عام مقابل أربعين ألف رجل فقط، وهذا يعني زيادة مخيفة في أعداد النساء اللواتي يتحملن مشقة العمل خارج البيت، ولعل هذا نتيجة طبيعية للملمح

الأول، وهو عيش المرأة وحيدة. . دون رجل ينفق عليها وعلىٰ أولادها إن كان لها أولاد، مما يضطرها إلىٰ البحث عن عمل تقتات من دخله.

انتفاء المساواة

يبقىٰ الملمح الأخير من الصورة، وهو الذي يشير إلىٰ انتفاء المساواة بين المرأة والرجل في العمل؛ علىٰ الرغم من أنها ـ المساواة ـ أحد الشعارات التي شدوا المرأة من خلالها لتعمل في أعمال الرجال.

لقد أعطوها أجراً أقل من الرجل، وما زالوا يعطونها أجراً أقل.

وقرأنا في الإحصاءات أن الرجال يأخذون رواتب أعلىٰ بنسبة ٣٤ في المائة من رواتب النساء.

ولم يفتحوا أمامها جميع الأعمال، فقد قرأنا أيضاً أنه علىٰ الرغم من ٤٥٥ مهنة تمّ إحصاؤها فقد لوحظ أن النساء يتواجدن بكثافة في قرابة ٢٠ مهنة فقط.

ولم يوفّروا لها أعمالاً مستقرة، فقد قرأنا أن العمل بدوام جزئي مخصص للنساء، إذ يشمل نسبة تصل إلىٰ ٢٥ في المائة بينما لا تصل نسبته عند الرجال إلىٰ أكثر من ٢ في المائة فقط.

وأرادوها مرفّهة لهم، شاغلة لأوقاتهم، ولهذا ارتفعت نسبة المشتغلات في فنون المنوعات إلىٰ ٤١ في المائة. . . ولم تتجاوز نسبة ٦ في المائة في أعداد النواب ومديري الإدارات. .؟

دعوة من المسلمة

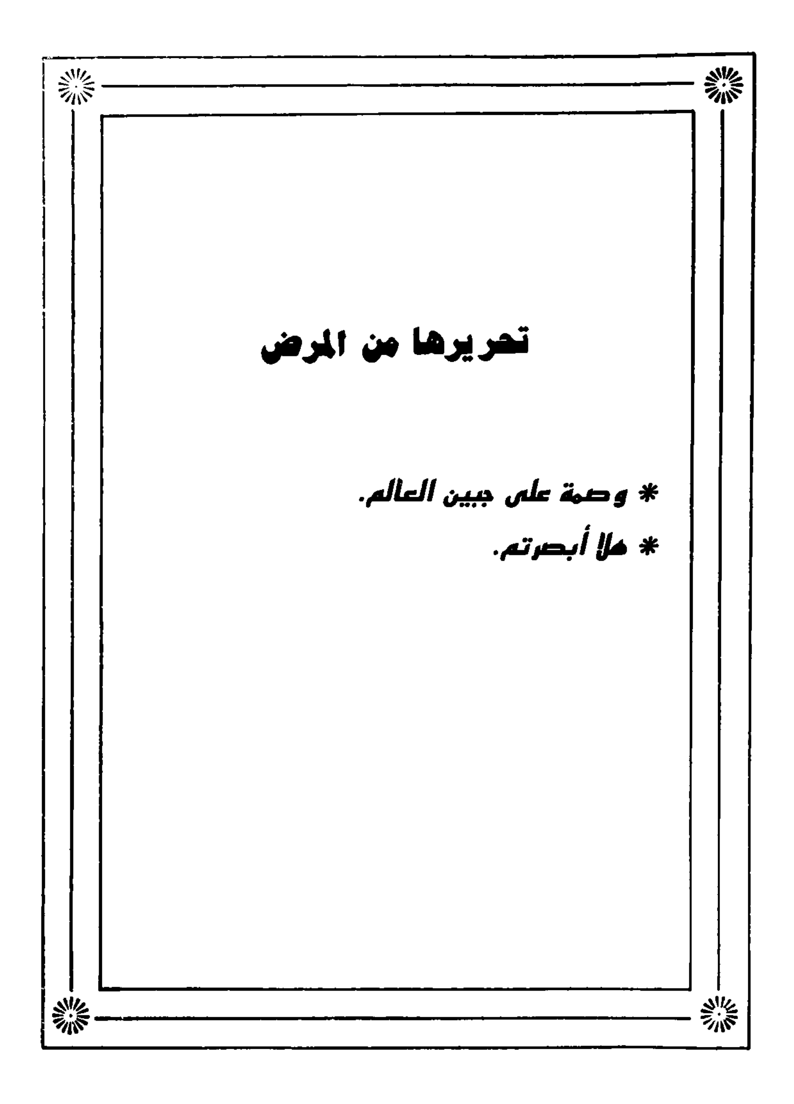
وهكذا تدخل المرأة إلىٰ العام ٢٠٠٠ وهي وحيدة غير سعيدة، محمّلة بأعباء كثيرة تخلّىٰ عنها الرجل، محرومة من المساواة في الأجر في أعمال يتقاضىٰ عليها الرجال أكثر مما يتقاضينه.

بينما تدخل المرأة المسلمة المتمسكة بدينها، إلىٰ العام ٢٠٠٠، وهي سعيدة بعقيدتها، مطمئنة إلىٰ ربها، راضية بما قدّره لها، عائدة إلىٰ نبع شرعه الصافي، تنهل منه، وتتمسك بما يدعوها إليه، وهي مستقرة في بيتها، يكفيها زوجها أو أبوها أو أخوها أو ابنها مؤونة كل تحصيل مالي، تحفظ نفسها ومَنْ حولها.

إنها دعوة من المرأة المسلمة إلىٰ المرأة الغربية لتنهج نهجها، وتسير في دربها، لتسعد كما سعدت، وتطمئن كما اطمأنت، وتنجو كما نجت إن شاء الله.

فمن ينقل هذه الدعوة إلىٰ المرأة الغربية..؟ بل إلىٰ كل امرأة لم تسر في درب الإسلام العظيم؟!

(١) جريدة الشرق الأوسط ـ العدد ٣٥٧٤.



تحريرها من المرض

* وصمة على جبين العالم.
* هلا أبصرتم.

تحريرها من المرض

«تصوروا أن طائرة على متنها ٢٥٠ راكباً، جميعهم من النساء مع أطفالهن، وتصوروا أن مثل هذه الطائرة ذات الحظ السيء تنفجر كل أربع ساعات دون أي إمكانية لإنقاذ أي من الركاب، ودون كلمة واحدة متعاطفة في الصحف. .»!

بهذه الصورة المأساوية والبسيطة في الوقت نفسه؛ حاولت مجلة «لانسيت» الطبية استثارة الاهتمام لصالح قضية الوفيات بين الأمهات في قارة أفريقيا.

لقد قامت منظمة الصحة العالمية، بإعداد دراسة متعمقة، لقياس مدى اتساع هذه الخسائر البشرية. وجاءت النتائج كالتالي: من بين كل ٢٠ امرأة (ما بين ١٥ و ٥٠ سنة) تموت ١٥ امرأة منهن، أي بنسبة ٧٥ في المائة. وتقل هذه النسبة ألف مرة في الدول الصناعية.

بعبارة أخرى فإن التقارير تقول: إن ٥٠٠ ألف امرأة في أنحاء العالم يمتن في أثناء الولادة منهن ٤٩٦ ألف امرأة في العالم الثالث، وخمسة ملايين امرأة أفريقية يصبن بعاهات مستديمة بسبب الولادة، و ٢٠٠ ألف امرأة يذهبن ضحية عمليات إجهاض غير قانونية.

مسؤولة اليونيسيف في جنيف تضيف إلىٰ هذه الأرقام المؤلمة قولها: إن هؤلاء الأمهات يتركن من بعد حياتهن التعسة حوالي مليون طفل يتيم رحلت أمهاتهن ليبقوا جوعىٰ في عالم يعتبر فيه لبن الأم العنصر الطبيعي الوحيد الذي يقيهم شر البؤس والجوع.

وتضرب المسؤولة، واسمها «كلير بربيسيه»، مثلاً من بنغلادش التي يموت فيها ٩٥ في المائة من المواليد الذين يفقدون الأم ساعة الولادة قبل بلوغهم السنة من أعمارهم.

ويقول الدكتور «هولمان كاورز» أحد المسؤولين في المركز العالمي للطفولة: «إن نسبة وفيات الأطفال في العالم الثالث تصل إلىٰ عشرة أمثالها في الدول الصناعية، ولكن نسبة الوفيات بين الأمهات أثناء الوضع تزيد علىٰ ذلك ألف مرة، وهذه وصمة علىٰ جبين العالم الذي يرسل الأقمار الصناعية ببلايين الدولارات لتتجول في الفضاء بحثاً عن الجديد»[1]

هذا هو حال المرأة في أفريقية والعالم الثالث.. أسيرة الفقر والمرض وندرة الرعاية الصحية.. فأين بلايين العالم الغربي لتحررها من هذا الأسر؟!

ألا يكون تحرير المرأة إلا من حجابها وعفافها وشرفها؟ هل يقتلها حجابها، أم يمرضها عفافها، أم يفقرها شرفها..!

أعيدوا قراءة كلمات الدكتور هولمان كاورز السابقة: «هذه وصمة علىٰ

جبين العالم الذي يرسل الأقمار الصناعية ببلايين الدولارات. . لتتجول في الفضاء بحثاً عن الجديد. . »! نعم. . وينفق بلايين أخرىٰ علىٰ أسلحة الدمار الشامل. . وبلايين علىٰ اللهو بمختلف أشكاله وألوانه. . . بينما هو يبخل ببلايين قليلة علىٰ تحرير المرأة من المرض والفقر وفقدان الرعاية الصحية الكافية!

هلا أبصرتم

فيا محرري المرأة من حجابها وبيتها وعفافها. . . إذا كانت قلوبكم علىٰ المرأة حقاً. . فحرروها من المرض والفقر والجوع. . . !

اجمعوا لها المال لتنفق منه علىٰ طعامها ودوائها وأطفالها. . بدلاً من أن تنفقوا علىٰ دعواتكم لخروجها من بيتها، ومخالطتها الرجال، وتبرجها وتكشفها.

الحجاب لم يكن قيداً قط، والخلق لن يكون أسراً أبداً، والدين ما كان ليقف حاجزاً أمام تعلم المرأة وعطائها. . .

فيا محرري المرأة من خلقها وحجابها وبيتها. . . هلاّ أبصرتم. . أم ما زالت علىٰ أبصاركم غشاوة؟!

(١) زهرة الخليج ـ العدد ٥٨٧.

تحريرها من التدخين

* من أخضعها له؟
* لماذا هو قيد؟
* مضاره على جمالها وصحتها.
* احتجاج نسائي على إعلانات التبغ.

تحريرها من التدخين

قيد من قيود المدنية الحديثة، أصبحت المرأة المعاصرة محكومة له، بل تدفع مالاً مقابله، علىٰ الرغم من أنه يأخذ من صحتها وصحة أولادها. . نصيباً وافراً.

إنه قيد التدخين.

قيد لم يترك آثاره علىٰ مِعْصَمي المرأة، بل علىٰ رئتها وقلبها وأسنانها ورحمها وجنينها.

وهو قيد تحرر منه أكثر النساء المسلمات، الملتزمات، المؤمنات، وخضع له أكثر النساء المتفلتات، العاملات، المبهورات بالمدنية الحديثة.

من أخضعها له؟

فقد كان وراء خضوع المرأة لهذا القيد: ثلاثة أمور رئيسة:

١ـ الإعلانات التي يبثها بعض محطات الإذاعة والتلفزيون وينشرها معظم الصحف والمجلات، وتظهر فيها المرأة مدخنة مع الرجل، وكأن لفافة التبغ مكملة لأناقتها ومظهرها، وعلبة اللفائف واحدة من أدوات زينتها ومكياجها التي تحملها معها في حقيبة يدها.

٢ـ العمل خارج البيت، وما يسببه للمرأة من توتر وإرهاق وضيق،

يدفع المرأة العاملة إلىٰ عادة التدخين. كما أن تدخين الرجال العاملين مع المرأة في الشركة أو المؤسسة، يجعل المرأة تتأثر به أو تقلده.

٣ـ القلق النفسي الذي يصيب معظم النساء غير المصليات، وغير الملتزمات بمبادىء إسلامهن عامة، يوهمهن أن التدخين ينفّس عنهن، ويخفف من الضغـوط عليهن، فتجـرب اللفـافة الأولىٰ.. فالثانية.. فالثالثة... حتىٰ يتحول التدخين إلىٰ عادة.. بل قيد محكم.

لماذا هو قيد؟

ولكن لماذا يعتبر التدخين قيداً يجب علىٰ المرأة أن تتحرر منه؟

لقد ثبت أن أضرار التدخين علىٰ النساء تفوق أمثالها علىٰ الرجال، وذلك لأن جسم المرأة أقل استعداداً لطرد المواد الغريبة عن الجسم. كما أن طبيعة تكوين المرأة البيولوجي والفسيولوجي وكونها امرأة تحمل وتلد يزيد مخاطر التدخين عليها وعلىٰ الجنين الذي ينمو في أحشائها، فقد دلت الدراسات علىٰ أن موت الجنين يصبح أكثر احتمالاً عند الأم المدخنة، وخاصة إذا كانت تبلع الدخان.

ولقد اتضح أن المرأة التي تمتنع عن التدخين عند بداية الحمل؛ تحمل أطفالاً أصحاء بالمقارنة بالمرأة التي تدخن ولو قليلاً.

وتصبح صحة الجنين سلبية تجاه السموم التي تتعرض لها الأم نتيجة وجودها في بيئة مليئة بالدخان.. حتىٰ لو لم تكن هي نفسها تمارس عادة التدخين.

ومن هنا بدأ بعض الدول باتخاذ الخطوات اللازمة لحظر التدخين في أي مكان يمكن أن تتواجد فيه امرأة حامل . .

مضاره على جمالها وصحتها

وللتدخين مضاره علىٰ جمال المرأة ونضارة وجهها وحيويته، كما تتآكل أسنانها. ولقد ظهر أنه بعد سن السادسة والثلاثين لن يسمح للمرأة الجمع بين التدخين وحبوب منع الحمل؛ لأن مخاطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية تصبح أقل في حال تناول المرأة حبوب منع الحمل وحدها، أي من غير تدخين.

ولقد قام الدكتور وولتر وليت الأستاذ في كلية الصحة العامة بجامعة هارفارد بدراسة عن أضرار التدخين علىٰ النساء أثبت فيها أن ٥٠٪ من حالات النوبات القلبية بين النساء سببها التدخين. وأن ٩٠٪ من هذه الحالات تدخن صاحباتها أكثر من ٤٥ لفافة تبغ في اليوم.

وكتب الدكتور جوناثان فيلدنغ الأستاذ في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس يقول: إن هجرة النساء للتدخين تتم أبطأ من هجرة الرجال له. وأضاف: إن النساء عادة يعمرن أطول من الرجال. . لكن المسافة بدأت تضيق، وقد تختفي تماماً لإقبال النساء علىٰ ممارسة عادة التدخين.

وأكدت دراسة جديدة جرت في بوسطن أن النساء اللواتي هن في سن اليأس، أو بعد هذا السن، ويدخّن علبة من السجائر يومياً، يتعرضن للإصابة بسرطان بطانة الرحم، بنسبة تزيد ٥٠٪ عن غير المدخنات.

وتشير الدراسة إلىٰ أن سرطان الرئة هو السبب الأول لموت المرأة الأميركية، حيث يقتل كل عام ١٣ مرة أكثر من النساء اللواتي يصبن بسرطان الرئة وهن لا يدخن، ويصيب سرطان بطانة الرحم حوالي ٣٧٠٠٠ امرأة سنوياً في أميركا وحدها.

احتجاج نسائي على إعلانات التبغ

إن نتائج هذه الدراسة رهيبة؛ لأنها تضيف جديداً إلىٰ الحقائق المؤكدة لأضرار التدخين، حيث يبدو أن التدخين يؤثر في مستوىٰ الاستروجين في جسم المرأة، وأن هذا مرتبط بالسرطان.

بالإضافة إلىٰ ذلك يؤكد العلماء والأطباء أن التدخين يشكل خطراً جاداً للمرأة فهو ـ مع تسببه بسرطان الرئة ـ يسبب أيضاً سرطان الدم والحلق والمريء والبنكرياس والمثانة ويسبب أمراض القلب والقروح والتهاب الشعب وانفتاح الرئتين.

وأثبتت الدراسات والبحوث وجوب امتناع الحامل نهائياً عن التدخين أثناء الحمل لما له من آثار سيئة علىٰ جميع أجزاء الجسم لأنه يؤدي إلىٰ نقص الغذاء والأكسجين الواصل إلىٰ الجنين؛ مما يؤدي إلىٰ صغر حجمه.

ومن خلال دراسة أجريت في الدنمارك اتضح أن الطفل الذي يدخن والده عشرين لفافة في اليوم وتدخن أمه عشر لفافات سينخفض وزنه حوالي نصف رطل عند ميلاده عن الطفل الذي يولد لزوجين لا يدخنان.[1]

وأذاعت صوت أميركا تقريراً عن حملة قامت بها الجمعيات النسائية الأميركية ضد شركات انتاج التبغ وشركات الإعلان بسبب إعلانات نشرت عن لفائف تبغ جديدة قيل أنها خاصة بالمرأة.

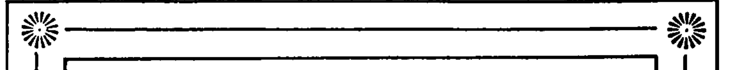
ووصفت الجمعيات في بيان لها إعلانات الشركات بأنها تنال من المرأة ومن صحتها ولا تهتم إلا بزيادة أرباحها المالية فقط.

وذكرت الإذاعة أن واحدة من أربع نساء أميركيات تدخن بصورة مستمرة.[٢]



(١) ملحق جريدة «الأنباء» ـ ١٩٨٨/٥/١١.

(٢) إذاعة صوت أميركا ـ الساعة ١٠,٥٠ ـ صباح السبت ١٩٩٠/١١/١٧.



تحريرها من التكشف والسفور

* كابة مع سن الثانية عشرة.
* كيف يلغي الحجاب كابتها.
* الحجاب وحركة السير.
* الحجاب والتنمية.
* الحجاب والعدل.
* أين الحرية؟
* من يقرر كم تستر من جسمها!
* الحجاب والصحة.
* اختيار الحجاب ألا تمنحه الحرية؟
* السفور قيد على سرعة الحركة والتنقل.

تحريرها من التكشف والسفور

وهل التكشف والسفور قيدان حتىٰ تُحرّر المرأة منهما؟

التكشف الذي يؤكد حرية المرأة في كشف مفاتنها، وانطلاقها من اللباس الساتر، ومن الحجاب المخفي لزينتها. . . هذا التكشف قيد؟ كيف جعلتموه قيداً؟

وأقول مجيباً: نعم. هذا التكشف، وهذا السفور قيدان حقيقيان، يحرمان المرأة حريتها، ويشكلان لها قيوداً مؤلمة!

والحجاب، الحجاب الإسلامي، يحرر المرأة من هذه القيود، ويكفل لها حرية عظيمة، توفر لها راحة نفسية، وطمأنينة قلبية، حرمت منها السافرة المتبرجة المتكشفة!

ورب قائل: هات برهانك إن كنت صادقاً!

وأقول: هاكم البرهان:

كآبة مع سن الثانية عشرة

منذ بلوغ الأنثىٰ سن الحيض؛ تقوىٰ في نفسها رغبة أزلية في التجمل والتزيّن، رغبة في ظهورها جميلة، فاتنة، جذابة. وهذه الرغبة؛ تحمّل الفتاة أعباء نفسية عظيمة، وقلقاً ذهنياً متصاعداً، وهموماً أنثوية متزايدة:

لون البشرة، الطول الزائد، القصر الزائد، النحافة، البدانة، ملامح الوجه، كبر الأنف، ضيق العينين، بثور علىٰ الوجنتين. . .

أي فتاة تبلغ سن الحيض وتنجو من أحد هذه الهموم في الشكل والمظهر؟ أليست هذه الهموم قيوداً نفسية مؤلمة، تنعكس علىٰ نفس الفتاة كآبةً، وعلىٰ ذهنها قلقاً، وعلىٰ أعصابها توتراً؟!

من يملك أن يقول إن الفتاة تعيش، وهي تحمل هموم إخفاء هذه العيوب، حريةً سعيدةً مُبْهِجة؟ والحمدلله أن الدراسات الاجتماعية والنفسية أكدت صدق هذا، وبرهنت عليه؛ لما لا يترك مجالًا لرافض أو منكر.

وأمامي نتيجة دراسة اجتماعية، نشرت في واشنطن وأظهرت أن الفتيات الصغيرات اللاتي تجاوزن الـ ١٢ عاماً؛ أكثر عرضة للكآبة النفسية من أقرانهن الذكور. وذلك بسبب انشغالهن الدائم بالتفكير في مظهرهن الخارجي.

وقالت الدراسة التي نشرتها مجلة «جورنال ابنورما سيكولوجي» إن الشعور بهذه الكآبة يزداد لدىٰ الإناث في فترة المراهقة. ويستمر حتىٰ بلوغ مرحلة الشباب.

وأوضحت الدراسة، التي بنت استنتاجها علىٰ السلوك الاجتماعي، لمجموعة كبيرة من طلاب وطالبات المراحل الدراسية المختلفة في الولايات المتحدة، أن هذا الشعور يقل، وينعدم أحياناً، عندما تشعر الفتاة بالرضا عن نفسها.

ولاحظت الدراسة أن شعور الكآبة متساوٍ عند الذكور والإناث قبل البلوغ، لكنه يزداد عند الإناث بعد سن الـ ١٢ عاماً.

ولاحظت الدراسة أيضاً أن الفتاة الكئيبة ـ نتيجة لقلقها العام على مظهرها الخارجي ـ يسودها اقتناع تام بأنها إما تكون قصيرة القامة جداً، أو طويلة القامة جداً، أو نحيفة جداً، أو بدينة جداً، كما يسودها شعور بأن ملامح وجهها مخيفة.(١)

كيف يلغي الحجاب كآبتها؟

ولنتوقف قليلاً عند هذه الدراسة:

ـ أظهرت الدراسة أن الفتاة تبدأ بالقلق والشعور بالكآبة منذ سن الـ ١٢ عاماً، وهو عادة سن بلوغ الأنثى، وهو الوقت نفسه الذي فرض فيه الإسلام الحجاب على المرأة، فهو ـ الإسلام ـ يحميها إذن من تلك الكآبة النفسية، وذاك القلق الذهني، قبل بدئهما. فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلتْ على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق؛ فأعرض عنها وقال: «***يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لن يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا***» وأشار إلى وجهه وكفيه. أخرجه البيهقي وأبو داود.

ـ أوضحت الدراسة أن الشعور بالكآبة يقل، وينعدم أحياناً، عندما تشعر الفتاة بالرضا عن نفسها. وهذا ما يوفر الحجاب قدراً كبيراً منه للفتاة؛ حين يطمئنها إلى أنها مثل غيرها في حجابها، وأن أحداً لا ينظر إلى غيرها نظرة إعجاب لا ينظر مثلها إليها.

ـ لاحظت الدراسة أن الفتاة الكئيبة ـ نتيجة لقلقها العام علىٰ مظهرها الخارجي ـ يسودها اقتناع تام بأنها إما تكون قصيرة أو طويلة أو نحيفة أو بدينة. . . والحجاب أيضاً ينجّيها من هذا أيضاً، لأن مواصفات الحجاب الإسلامي تستر الكثير من هذه الصفات الجسدية: (*يحرم علىٰ المرأة أن* ***تلبس ثياباً رقيقة تشف عن جسمها، أو أن تلبس ثوباً يصف حجم عظامها وهيئة جسمها***)[٢]

(***ويجب ألا يكون رقيقاً يظهر لون البشرة، وألا يصف أو يحدد معالم الجسم، وألا يكون ضيقاً أو ألوانه زاهية، فالثوب لا بد أن يكون فضفاضاً واسعاً لا يبرز شيئاً من الجسم***)[٣]

ـ يشتمل المظهر الخارجي علىٰ اللباس، وهذا يحمّل أعباء مالية ونفسية للفتاة التي تضنيها متابعة الموضات، ومنافسة الزميلات والصديقات والقريبات، في الظهور بما يشد أنظار الشباب إليهن.

وهذا أيضاً يريح الحجاب الفتاة منه؛ فلا تحتاج إلىٰ كثرة التغيير في لباسها إذا ما خرجت إلىٰ الشارع، أو ذهبت إلىٰ مدرستها، أو إلىٰ عملها إذا كانت عاملة، لأنها تذهب إلىٰ هذه الأماكن جميعها، وغيرها، في حجابها الذي يستر جسدها كله.

ـ وفي دراسة إحصائية أخرىٰ؛ قامت بها إحدىٰ شركات صناعة أصباغ الشعر الشهيرة، جاء أن سبعة من كل عشر نساء، فوق الخامسة والثلاثين من العمر، يقمن بصباغة شعرهن عندما يظهر فيه الشيب. كما أن ٢٤ في المائة من النساء يستخدمن نوعاً من الأصباغ الخاصة بالشعر. سواء أكان هناك شيب في رؤوسهن أم لم يكن.[٤]

والحجاب، هنا أيضاً، يخفي شيب المرأة، ويخفف عنها كثيراً من قلقها إزاءه؛ إذا لم يلغه تماماً.

وهكذا.. يحرر الحجاب المرأة من الكآبة النفسية، والقلق الذهني، والتوتر العصبي... الناتجة جميعها، عن حرص فطري لدىٰ المرأة، علىٰ الظهور جميلة، مُعْجِبة، فاتنة. ويحصر مجالات ظهورها في زينتها، أمام مجموعة قليلة من أقاربها، الذين لن يسبّبوا لها الكآبة النفسية إن لم تظهر أمامهم جميلة، من مثل زوجها، ووالد زوجها، وأبنائها، وأبيها، وإخوتها، وأبناء إخوتها أو أخواتها.

هل هذا كل ما في الحجاب من دلائل علىٰ تحرير المرأة؟

بل هناك أشياء أخر، منها:

الحجاب وحركة السير

أولاً ـ هل يملك أحد المارة؛ أن يقول أنه حر، حين يقفز من أمام السيارات، ويفاجىء سائقيها، فيسبب حوادث مرورية قاتلة؟!!

أليس تصرفه هذا مُوجِداً لقيود تنال من توازن السائقين، ومن تحكمهم في السيارات التي يقودونها، ومسبباً لاضطرابات مرورية خطيرة، قد ينتج عنها حوادث قاتلة، وأضرار مادية كبيرة؟!!

إن السفور والتكشف؛ اللذين تزعم المرأة أنهما من حريتها، مثل أي فعل آخر؛ يسرق انتباه السائقين، ويشغلهم عن السياقة التي تحتاج إلىٰ انتباه كامل، تتيقظ فيه معظم الحواس.

اقرؤوا تصريحاً لمدير الشرطة في مدينة جورج تاون؛ فقد حمّل فيه النساء اللواتي يتكشفن ويرتدين الثياب المثيرة؛ مسؤولية حوادث الاصطدامات وحوادث الطرق. وقال: إن المسؤولين، إذا لم يجدوا حلاً جذرياً وسريعاً لمنع ارتداء «الميني جوب»؛ فإنه سيصبح أكثر خطراً على الإنسانية.. من مفعول القنبلة الذرية! ويضيف: فيما يركز السائق نظره واهتمامه على تفاصيل الحسناء التي يراها.. تتركز مقدمة سيارته في سيارة أخرى، أو عابر سبيل، أو عمود كهرباء.[٥]

الحجاب والتنمية

ثانياً ـ زيادة التنمية، وتحسين وسائل الانتاج، واستثمار الوقت أفضل استثمار، أمور تسعى إليها كل دولة من الدول.

ولا نحسب من يقف أمام تحقيق هدف من هذه الأهداف، بأي عمل من الأعمال، يملك بأن يقول إنه حر التصرف!

وعليه؛ فإن المرأة السافرة، المتكشفة، المتبرجة، التي تشغل العاملين عن أعمالهم، وتكون سبباً في قلة إنتاجهم، وتراجع عطائهم؛ لا تملك أن تقول إنها حرة.

وأنقل خبراً صغيراً؛ لكن دلالته كبيرة؛ على صدق ما نقول:

«أصدرت إحدى أهم المؤسسات البريطانية (باركليز كارد) مرسوماً داخلياً؛ طلبت فيه من العاملات.. عدم ارتداء الملابس المثيرة.

وعلّل المسؤولون في المؤسسة هذا المرسوم؛ بانشغال العاملين الرجال

عن عملهم بسبب طريقة لبس بعض زميلاتهم».

هذه مؤسسة خاصة، أدركت تأثير طريقة لباس العاملات فيها، علىٰ انتاج العاملين الرجال، وخفضه؛ بسبب انشغالهم بالنظر إلىٰ النساء العاملات، فعملت علىٰ إلغاء السبب، حرصاً منها علىٰ مستوىٰ الانتاج، وزيادته لا انخفاضه.

ولم يملك أحد، في هذه المؤسسة أو خارجها؛ أن يعترض، أو يرىٰ في هذا المرسوم حداً للحرية الشخصية، لأن صاحب المؤسسة أيضاً حر في فعل ما يرىٰ فيه مصلحة لمؤسسته، وحماية لمستوىٰ انتاجها.

والأمر في مؤسسة الحياة، والمجتمع، أولىٰ وأهم، لأنه يمس مصلحة الأمة جميعها، والناس كلهم. ومن ثم فليس من الحرية، أن تخرج المرأة سافرة، متبرجة، متكشفة؛ شاغلة بهذا الرجال عن مهماتهم في الحياة، من إنتاج، وبناء ونماء.

الحجاب والعدل

ثالثاً ـ إذا كانت المرأة تحاور رجلاً، بهدف إقناعه بوجهة نظرها، في قضية من القضايا، وتعرض له خلال ذلك أدلتها وبراهينها؛ لكن الرجل كان ـ أثناء ذلك ـ ينظر إلىٰ شعرها تارة، وإلىٰ ذراعها تارة أخرىٰ، وإلىٰ رقبتها وجيدها تارة ثالثة، دون أن يهتم بما تعرضه من أدلة وبراهين؛ ألا ترىٰ المرأة في نظرات الرجل هذه، وانصرافه عن سماعها باهتمام وتركيز؛ امتهاناً لها، ونيلاً من حريتها في عرض أفكارها، والإقناع بها، دون تأثير، سلبي أو إيجابي، من شكلها وجسمها ومظهرها؟!

إذا أعلنت جهة من الجهات؛ عن حاجتها إلىٰ موظفة للعمل، حسب قدرات وخبرات معينة، وتقدمت مجموعة من النسوة إلىٰ هذه الوظيفة، وهن يحملن معهن شهـادات ووثـائق تثبت ما يملكن من قدرات وخبرات... لكن اللجنة المكلّفة باختيار الموظفة.. لم تنظر في هذه الأوراق بقـدر نظرهـا في شكـل المـوظفـة، ومدىٰ جمالها، وقوامها، وجاذبيتها... فهل يعد هذا تحريراً للمرأة، وعدلاً في اختيار الموظفة الصالحة للعمل..؟

وهكذا، فالأمثلة كثيرة، وجميعها تؤكد أن التكشف والسفور يشكلان قيدين علىٰ المرأة، يمنعانها من تقديم كفاءتها، ويحولان دون ممارسة العدالة تجاهها، ويحرمانها من حقوقها الإنسانية الطبيعية المجردة.. البعيدة عن شكلها ومظهرها.

أين الحرية؟

رابعاً ـ إذا كان السفور نتيجة ممارسة الحرية، فينبغي أن تكون أول امرأة قامت به؛ قد أقدمت عليه في حرية، لا تأثراً بأحد، ولا استجابة لجهـة، ولا توجيهاً من جماعة. وهذا ما لم يحدث حين بادرت أول امرأتين في مصر، بل في العالم الإسلامي كله، إلىٰ نزع حجابيهما، قبل سبعين عاماً تقريباً.

ففي عام ١٩٢٣، قامت هدىٰ شعـراوي وسيـزا نبراوي: بإلقـاء حجابيهما، ودوسه بأقدامهما، فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولي الذي عقد في روما في صيف ١٩٢٣، وقد تحولتا، بعد ذلك، بذاتيهما إلىٰ مستوطنتين متحركتين للتعاليم البهائية التي فرّخت الآلاف، ثم الملايين،

من المستوطنات المنفّذة للتعاليم البهائية التي تنادي بإبطال الشريعة الإسلامية، وتحريم الحجاب، وإطلاق السفور."[٦]

أين الحرية إذن في اختيار السفور، وقد أقدمت عليه أول امرأتين مدفوعتين بجهات حضرت مؤتمراً عقد في روما؟!

من يقرر كم تستر من جسمها؟

خامساً ـ هل من الحرية أن تقوم امرأة بالخروج عارية إلىٰ الشارع؟ هل تملك أي امرأة في العالم كله أن تخرج من بيتها عارية؟

لا نحسب أن هنالك من يجيب بـ : نعم، إن من حرية المرأة فعل هذا! ولا نحسب أن هنالك امرأة تجرؤ عليه! ولا نحسب ـ فيما نعلم ـ أن امرأة خرجت من بيتها عارية. . دون أن يمنعها من متابعة سيرها أحد!

إذن، المرأة لا تملك الحرية في هذا، وعليها أن تستر من جسمها ما تستر قبل أن تخرج. ولا يخالفنا علىٰ هذا أحد.

يبقىٰ السؤال: ماذا تستر من جسمها؟ ومن يقرر كم تستر؟

تعالوا نقرأ ما كتبه دكتور فرنسي متخصص في جراحة الأمراض النسائية: «إن أغلب الأمراض الجنسية التي نعاني منها. . سببها الاختلاط غير المشروع بين الرجل والمرأة. ولو عدنا إلىٰ أصول هذه المشكلة. . لوجدنا أن سببها تخلي المرأة والرجل عن حيائهما الذي وضعه الله في كل رجل وامرأة. وبخاصة، وبشكل كبير، لدىٰ المرأة. فالمرأة، بعد أن تخلت عن حيائها، وخالفت بذلك طبيعتها الإنسانية، راحت تختار الألبسة التي

تكشف عن مفاتنها، فانتشرت الفتنة في المجتمع، وانتشرت الأمراض بعد ذلك».

ويضيف قائلاً: «لا بد من التزام المرأة بلباس موحد على مدىٰ الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه وإن تغيرت نوعيته.. فاللباس المحتشم للمرأة في العصور الوسطىٰ هو نفسه لباس الوقحات في العصور القديمة.. ولباس المرأة المحتشمة اليوم هو نفسه لباس العاهرات في القرون الوسطىٰ. في البداية كانت المرأة تغطي وجهها بغطاء سميك مع تغطية سائر جسمها.

وكانت الوقحات في ذلك الوقت يضعن خماراً شفافاً علىٰ وجوههن مع الحفاظ علىٰ اللباس الساتر لأجسادهن. وبعد زمن راحت فئة من النساء غير المحتشمات تقصر أثوابها الطويلة شبراً فوق الكعب. ثم، بعد زمن آخر، أصبح هذا اللباس هو نفسه لباس المحتشمات.. بينما راحت الوقحات يكشفن أذرعهن وشيئاً من صدورهن... وهكذا حتىٰ أصبحت الشريفات اليوم.. يلبسن ما كانت تلبسه عاهرات الأزمان الماضية»[٧]

إذن، كما يقول هذا الجراح الفرنسي، «لا بد من التزام المرأة بلباس موحد علىٰ مدىٰ الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه، وإن تغيّرت نوعيته..». لتتطور صناعة الأقمشة التي تُفصّل منها الألبسة، ولتُصنع من الصوف أو القطن أو الحرير الطبيعي أو الحرير الصناعي؛ ولكن التطور ينبغي ألا ينقص من الحشمة، ألا يمسها، فالحشمة لا تتطور، ولا تتغير، ولا تتناقص.

والله سبحـانه وحده من يبيّن مواصفات هذه الحشمة؛ مواصفات اللباس الذي يحققها، والحجاب الذي يحفظها.

وعليه؛ فإذا كانت المرأة لا تملك أن تخرج عارية؛ فإنها لا تملك كذلك أن تخرج كاشفة ذراعها أو شعرها أو نحرها أو ظهرها أو ساقها، لأن السِتْر لا يتجزأ، والحشمة لا تتقسم. ولأن الشهوة لا تتغير، والغريزة لا تتطور.

لقد نظّمت حركات تحرير المرأة في أميركا يوماً كاملاً عن الاغتصاب، وألقيت عنه محاضرات ودارسات مختلفة، وكان تعريفها للاغتصاب: «إن المرأة تغتصب حتىٰ بمجرد نظرة إعجاب في الشارع من أحد المارة. وعليه فإن جميع النساء ضحايا الاغتصاب الجنسي»[٨]

كيف، بربكم، يمكن حماية المرأة من هذا الاغتصاب، كما عرّفته حركات تحرير المرأة في أميركا، إلا بالحجاب الإسلامي؟!!

الحجاب والصحة

سادساً ـ إذا اكتشفت السلطات الصحية المختصة، في بلد من البلدان، أن نوعاً من أنواع الحلوىٰ الموجودة في الأسواق، قد يسبب لآكليها مرضاً من الأمراض، ولنقل إنه السرطان، وأرادت هذه السلطات مصادرة هذه الحلوىٰ من الأسواق، لحماية الناس منها ووقايتهم من السرطان الذي قد يصيب آكليها، فهل لأحد أن يقول: ليس من حقهم أن يمنعوا هذه الحلوىٰ ويصادروه.. فنحن أحرار في تناولها؟!! هل يملك أحد أن يقول مثل هذا القول؟!

إن من الأضرار الصحية لنبذ المرأة الحجاب، وتكشفها، إصابتها بمرض سرطان الجلد؛ نتيجة لتعرض بشرتها لأشعة الشمس المباشرة، كما ثبت علمياً.

فقد أكدت أبحاث أجريت مؤخراً؛ أن النساء اللواتي يأخذن حمامات الشمس بالمايوه البيكيني؛ يتعرضن للإصابة بسرطان الجلد ١٣ ضعفاً عن النساء اللواتي يرتدين المايوه من قطعة واحدة تغطي الظهر. أفلا يعني هذا أن المرأة المحجبة.. أقل نساء الأرض عرضة للإصابة بسرطان الجلد.. لأنها تستر جسدها كله عن أشعة الشمس؟!

يقول أحد الأطباء إنه يوجد في جسم كل إنسان أوروبي حوالي ثلاثين ندبة. ويعود سبب وجود الندبات المرضية منها إلىٰ أشعة الشمس، ويتحول بعضها تلقائياً إلىٰ النوع الخبيث.

ويضيف الطبيب: إن أشعة الشمس الحارة تهدم أسوار الدفاع الذاتي الموجودة داخل جسم الإنسان. وقضاء الساعات تحت أشعة الشمس.. أشبه بالتدخين بكثافة في مكان مغلق، ويصيب الإنسان بالأذىٰ البليغ.

والنساء أكثر عرضة للإصابة بمرض سرطان الجلد من الرجال. ومن أبرز سرطانات الجلد سرطان الخلية القاعدية. وهو الأكثر انتشاراً. وهذا النوع يهاجم الوجه أو الرقبة، ويشكل خطورة حقيقية علىٰ حياة المصاب إذا ما أهمل علاجه.

وهناك نوع آخر من سرطانات الجلد يطلق عليه أحياناً القرحة القارضة، ويصيب الخلايا الحاملة للصبغات. وقد يصيب أي جزء من

أجزاء الجسم.. وإن كان ينتشر فوق أرجل السيدات. ويكشف هذا السرطان عن نفسه بمتغيرات ملحوظة في لون الجلد، أو من خلال الإحساس بالحكة. وأحياناً بتطور الأجزاء المصابة إلىٰ حالة من الإدماء أو النزيف.

وثمة نوع ثالث نادر يظهر علىٰ شكل حبيبات في حجم حبات القمح علىٰ مؤخرات الأكف وأعلىٰ الرأس والأذنين والشفتين.

إن التعرض للأشعة فوق البنفسجية؛ يشجع علىٰ انتشار سرطان الجلد، بل ويتسبب في دخول الجلد مرحلة الشيخوخة قبل الأوان.

وفي بريطانيا وحدها تظهر ٢٦٠٠ حالة سرطان جلد جديدة كل عام، وهو معدل يزيد بنسبة ٥٠٪ عنه قبل عشر سنوات.

وتكمن خطورة سرطان الجلد في أن عدم اكتشافه في وقت مبكر يساعد علىٰ انتشار المرض الخبيث إلىٰ أماكن أخرىٰ من الجسم، مثل الغدد اللمفاوية، ثم الرئتين والجهاز التنفسي، وهي مناطق يصعب علاجها. حتىٰ ولو عولجت فإنها تترك آثاراً واضحة علىٰ وجه المريض وجسمه.

ويعتبر سرطان القرحة القارضة الأكثر انتشاراً بين الأوروبيين؛ وينتج عن التعرض لأشعة الشمس لفترات زمنية طويلة. ويظهر علىٰ شكل تقيحات بيضاء أو في لون اللحم البشري، ثم يستمر في التطور علىٰ مدار السنوات. وبالطبع تظهر التقيحات علىٰ المناطق المعرضة للشمس من جسم الإنسان كالوجه.[٩]

«ولقد قام علماء متخصصون في الولايات المتحدة وفرنسا، مؤخراً، بإجراء بحوث عن نتائج ارتداء المرأة للملابس القصيرة، فأخذوا مقاييس لسيقان بعض الفتيات قبل ارتدائهن «الميني جوب»، ثم أخذوا مقاييس للسيقان نفسها بعد مدة معينة من ارتدائه؛ فوجدوا أن هذه السيقان قد تضخمت بنسبة ٥ بالمائة وتغير لون جلدها بنسبة ٧ في المائة. ولقد نشرت المجلة الطبية البريطانية أن السرطان الخبيث الذي يصيب الجلد، في المناطق المكشوفة من جسد المرأة، أصبح في تزايد عقب انتشار موضة «الميني جوب» والملابس العارية والقصيرة بسبب تعرض المناطق المكشوفة لأشعة الشمس فترات طويلة علىٰ مدار السنة. وهو يبدأ أولاً بصورة بقعة صغيرة سوداء في القدم أو الساق العارية.. ثم يبدأ في الانتشار في كل مكان في الجسم»[١٠]

ترىٰ لو أصدر حاكم بلد من البلدان قراراً يمنع بموجبه النساء من كشف وجوههن وأجسادهن لأشعة الشمس.. حمايةً لهن من السرطان، أفكان يُتهم بمصادرة حرية المرأة؟! إن الله سبحانه وتعالىٰ يمنع المرأة من هذا الكشف؛ حمايةً لها من نار جهنم، ومن الفتنة، ومن شرور كثيرة عرضت لها في الفقرات السابقة... أفتكون هذه الحماية العظيمة سلباً للحرية؟ ولا حرية حقيقية إلا في ظل الأمن، والصحة، والطمأنينة، والسلام النفسي والاجتماعي!

يقول تعالىٰ مبيّناً حكمة الحجاب وما فيه من حماية للمرأة وللمجتمع: ﴿***يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنىٰ أن يُعرفن فلا يُؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً***﴾ الأحزاب ٥٩.

فقوله تعالىٰ ﴿فلا يؤذين﴾ هو نص علىٰ أن في معرفة محاسن المرأة إيذاء لها ولغيرها بالفتنة والشر، ولذلك حرم الله تعالىٰ عليها أن تخرج من بدنها ما تعرف به محاسنها أيًّا كانت.[11]

اختيار الحجاب ألا تمنحه الحرية؟

سابعاً - إذا كان من يدعو إلىٰ السفور ينطلق من دعوىٰ الحرية؛ فلماذا لا يحترم حرية المحجبة في اختيار الحجاب؟

لقد ردت على هؤلاء امرأة غير مسلمة، وحجّتْهم بالمنطق نفسه، منطق حرية الاختيار. إنها الروائية الفرنسية «أني أرنو». تقول معلقة علىٰ منع طالبات مسلمات في فرنسا من دخول المدارس وهن محجبات: «*أرى أن الحجاب وسيلة تؤكد بواسطته المسلمات هويتهن الثقافية. وهو أمر يجب أن يحترم، لأن منعه خرق للحرية الشخصية. صحيح أن المدارس الفرنسية علمانية، لكن هذه مسألة حرية شخصية، فهناك فرنسيات مسيحيات يأتين إلىٰ المدارس بملابس دينية.. دون أن يحتج أحد*»[12]

وترد علىٰ هؤلاء أيضاً، رئيسة اتحاد التلميذات في فرنسا «كورين سيلر»، وسنها ١٧ سنة، فتقول: «إن الكبار هم الذين يصنعون هذه المشاكل، ولقد سمعنا كثيراً من ردود الفعل المتخلّفة. إن كل شيء بسيط بالنسبة إلينا. أن تلبس فتاة الإيشارب أو الحجاب.. ليس مشكلة. في مدرستنا فتاتان ترتديان الحجاب منذ سنتين دون أن يثير ذلك أي مشكلات. كما أن الطالبات اليهوديات اللاتي يتغيبن يوم السبت.. ينقلن بعد ذلك الدروس...»[13]

وكان قريباً من هذا موقف وزير التعليم الفرنسي «ليونيل جوسبان» الذي أكد علىٰ ضرورة احترام آراء الآخرين. .» وكذلك ميشيل روكار رئيس الوزراء الذي يدعو إلىٰ «ضرورة احترام حرية الآخرين وآرائهم».[١٤]

وفي بريطانيا. . تكررت المعركة نفسها؛ حين أقدم رئيس إدارة إحدىٰ المدارس في لندن؛ علىٰ طرد طالبتين مسلمتين بريطانيتين من أصل باكستاني، من المدرسة، بسبب إصرارهما علىٰ ارتداء الزي الشرعي الإسلامي. وتلقفت الصحافة والإذاعة ومحطات التلفزة الخبر، فما إن مضت أيام قليلة حتىٰ سيطرت معركة الزي الشرعي الإسلامي على الساحة السياسية والإعلامية والدينية في بريطانيا.

وسارع والد الطالبتين ـ وهو من مشاهير أطباء العيون الاختصاصيين في لندن ـ إلىٰ رفع عدة شكاوي إلىٰ الهيئات التي تدافع عن حقوق الإنسان، وإلىٰ الهيئات التي تحارب التفرقة العرقية والعنصرية مطالباً بإلغاء قرار رئيس إدارة المدرسة البريطانية، باعتباره قراراً ينتهك الحرية الشخصية وحرية العقيدة، وباعتباره قراراً يحمل رائحة التمييز العرقي والعنصري كون الطالبتين من أصل أسيوي.

ولم تأخذ معركة الزي الشرعي الإسلامي وقتاً طويلاً، إذ سرعان ما اضطر رئيس إدارة المدرسة أمام ضعف حججه ومبرراته، إلىٰ التراجع عن قراره، وسمح للطالبتين بالعودة إلىٰ المدرسة وهما تلتزمان بالزي الشرعي الإسلامي.

ونقلت محطات الإذاعة والتلفزة خبر عودة الطالبتين إلىٰ المدرسة بالبث

الحي المباشر، وشاهد ملايين البريطانيين عدة مئات من الطالبات البريطانيات يرحبن بالأناشيد والتصفيق بعودة الطالبتين المسلمتين إلىٰ المدرسة، وشاهدت الملايين أيضاً الأب وهو يحتضن ابنتيه قبل أن تدلفا إلىٰ داخل المدرسة وقد انهمرت دموع الفرح من عينيه وعيني ابنتيه فرحاً بالنصر الذي حققه الله لهما في معركتهما من أجل الالتزام بطاعة الله عز وجل، وإطاعة أحكام شريعته.

وهكذا تنتصر المحجبات في فرنسا وإنكلترا، حيث الحرية الشخصية مصونة، بينما يمنع الحجاب في بعض أقطار المسلمين؛ في الوقت الذي لا يُمنع فيه التكشف.. بل العري!

السفور قيد على سرعة الحركة والتنقل

ثامناً ـ إذا كان علىٰ الإنسان؛ إذا أراد الخروج من بيته، أن يلبس ثياباً معينة، تحتاج إلىٰ عناية خاصة، وأن يلتزم بأصباغ معينة علىٰ وجهه، واقتضاه هذا كله الوقوف أمام المرآة فترة غير قصيرة من الزمان... فهل نملك أن نقول إن هذه الأفعال دلائل علىٰ حرية هذا الإنسان..؟! أليست قيوداً تقلل من حركته وتؤخر خروجه من بيته، وتحول دون سرعة إنجازه أعماله، وتأخذ من وقته الكثير...؟!!

وهكذا المرأة التي لا تلتزم الحجاب، عليها أن تراقب شكلها قبل كل خروج من بيتها، وتختار لباسها، وتضع ما تضع من الأصباغ علىٰ وجهها، وتمشّط ما شاءت أن تمشط من شعرها، وتضييع ما تضيع من وقت أمام المرآة لمراقبة هذا كله؛ لباسها، وجهها، وشعرها، وماكياجها... فأين الحرية في هذا؟ أين هي من المحجبة، التي إذا اضطرت إلى الخروج من

منـزلهـا، لحاجـة طارئة، بادرت إلىٰ حجابها تستر به جسدها كله في لحظات، . وهي متحررة من جميع ما ابتليت به المرأة السافرة المتكشفة. . !

وإليكم مثلاً على هذا؛ التصريح الذي أدلت به الرئيسة الفلبينية كورازون أكينو إلىٰ وكالة رويتر في ٧ ربيع الأول ١٤٠٨ الموافق ١٩٨٧/١٠/٣٠:

تقول:

«إنه بوسع الرجل أن ينهض من الفراش، ويمشط شعره ليكون مستعداً لمباشرة عمله. غير أن الأمر يختلف بالنسبة إلىٰ المرأة» .

وتضرب أكينو مثلاً علىٰ هذا فتقول:

«في ليلة محاولة الانقلاب الفاشلة في ٢٨ آب (أغسطس) الماضي (١٤٠٨/١/٤) عندما تمّ إيقاظي من سباتٍ عميق لإبلاغي بنبأ محاولة جنود متمردين اغتيالي. . انصرف ذهني حينئذ إلىٰ الاهتمام بمظهري» .

وتـابعت حديثها الذي أدلت به في مأدبة غداء لرابطة الصحفيين الأجانب في الفلبين:

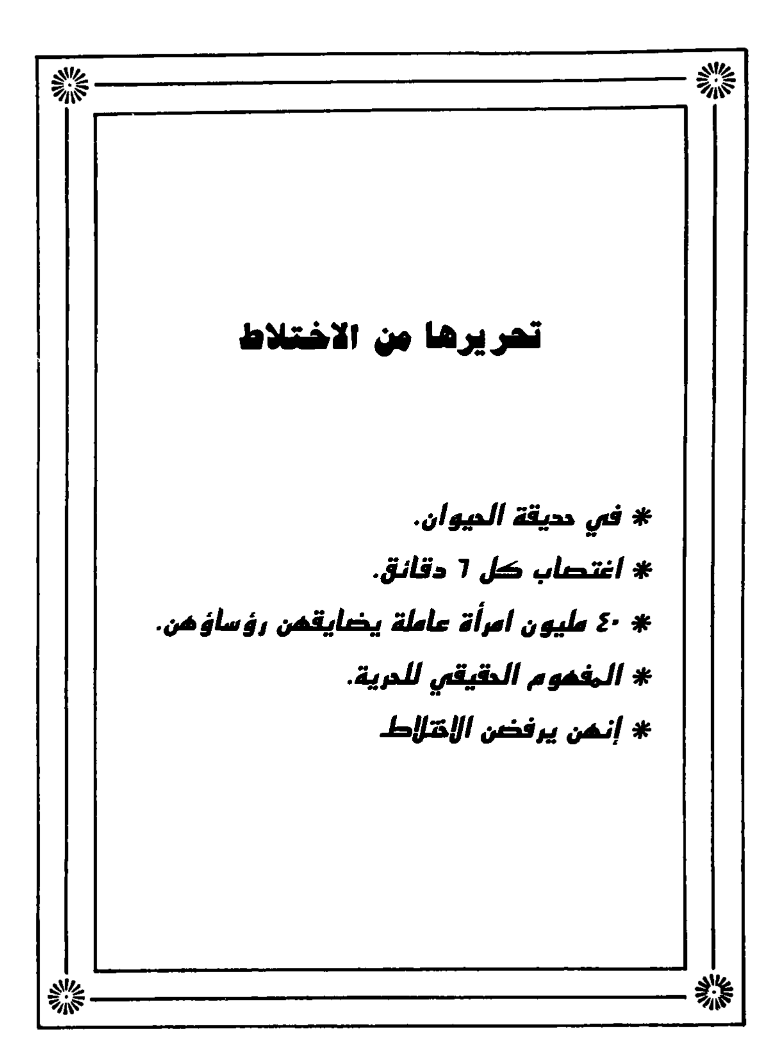
«لو كنت رئيساً ـ أي رجلًا ـ فكل ما يتعين عليّ أن أفعله هو ارتداء ملابسي. وهذا كل ما في الأمر. ولكن في حالة كون رئيس البلاد امرأة. . فإن الأمر يتطلب الاهتمام بالمكياج» .

ومضت تقول:

«لا يمكنني أن أسمح بأن تلتقط لي صور وقد استيقظت لتوي من الفراش».

وهكذا؛ يوفر الحجاب للمرأة جواً آخر من أجواء الحرية، ومعنىً أخر من معانيها، يحررها من التكشف والسفور اللذين يقيدان حركة المرأة، ويؤخران خروجها من بيتها، ويرهقان أعصابها، ويسلبانها كثيراً من وقتها.

(١) جريدة الهدف الكويتية الأسبوعية ٢٦/٥/١٩٩٠.
(٢) لباس المرأة وزينتها ـ ص ١١٧.
(٣) جريدة الاتحاد الظبيانية ـ ٩/٨/١٩٨٧.
(٤) جريدة القبس الكويتية.
(٥) مجلة «المجتمع» ـ العدد ٩٩.
(٦) مجلة لواء الإسلام ـ العدد ١٠ ـ السنة ٤٤.
(٧) «المجتمع» ـ العدد ٨٣٧.
(٨) «المجتمع» ـ العدد ٧١.
(٩) مجلة «أسرتي» ـ ص ٦٣ ـ ٦٤.
(١٠) جريدة «الأنباء» الكويتية ـ ١٥/٥/١٩٩٠.
(١١) نظرات في كتاب حجاب المرأة المسلمة ـ عبدالعزيز بن خلف الله العبد ص ٤٩.
(١٢) مجلة «سيدتي» ـ العدد ٤٨١.
(١٣) مجلة زهرة الخليج.
(١٤) نفس المرجع السابق.



تحريرها من الاختلاط

* في حديقة الحيوان.
* اغتصاب كل ٦ دقائق.
* ٤٠ مليون امرأة عاملة يضايقهن رؤساؤهن.
* المفهوم الحقيقي للحرية.
* إنهن يرفضن الاختلاط.

تحريرها من الاختلاط

وهل يعقل أن يكون الاختلاط قيداً؛ حتىٰ تحرر المرأة منه، وهو منطلق من الحرية، وقائم عليها، وممزوج فيها؟

كيف يمكن أن يكون الاختلاط قيداً؛ وهو يبيح للمرأة أن تختلط بالرجال، في الأسواق، والمدارس، والشركات، والطرقات؟

من يقنع، بأن منع اختلاط المرأة بالرجال؛ يمنحها الحرية، وأن السماح لها بالاختلاط يقيدها؟

هذه التساؤلات تبدو منطقية، لأن منع النساء من مخالطة الرجال، ومنع الرجال من مخالطة النساء، تقييد لهن، وأسر لحريتهن، وتضييق عليهن.

لكننا، بعون الله، نقول إن الاختلاط قيد، موجع، يحرم المرأة حريتها، ويأسرها، ويؤذيها.

كيف يكون هذا؟

هذه هي الإجابة.

في حديقة الحيوان

أولًا: حين أتجول في حديقة حيوان؛ وتكون فيها الحيوانات محبوسة في

أقفاص، فإني أتجول بحرية، وأنا مطمئن، أنظر إلىٰ هذا الأسد، وأتأمل ذلك الفيل، وأراقب ذاك النمر، وألاحظ حركات تلك الغوريلا. . .

لكني، حين تفتح أبواب الأقفاص في الحديقة، سأبادر فوراً إلىٰ الخروج منها، لأني ما عدت آمناً فيها، وما عدت أملك تلك الحرية التي كنت أشعر بها وأنا أتجول بين الحيونات وهي في أقفاصها.

كل حيوان مفترس صار مصدر خطر علي، مصدر تهديد لأمني، وحريتي، واطمئناني. ولا يمكن لأحد أبداً؛ أي يصف حالي، وسط الأقفاص المفتوحة الأبواب؛ بالحرية.

هذا هو حال المرأة التي تخرج إلىٰ المجتمع مختلطة بالرجال، فهي ليست حرة، لأنها ليست آمنة، ففي نفوس جميع الرجال من حولها؛ غرائز جنسية جامحة، أشبه بالحيوانات المفترسة في الحديقة.

و«الافـتراس» الذي يخشاه المرء المتجول في حديقة حيوان مفتوحة الأقفاص، يقابله «الاغتصاب» الذي تخشاه المرأة المتجولة في مجتمع يبيح الاختلاط.

اغتصاب كل ٦ دقائق

في الولايات المتحدة؛ تقول التقارير الخاصة بالاغتصاب، بأن حادثة اغتصاب تسجل كل ٦ دقائق وإن جريمة الاغتصاب أكثر الجرائم تسجيلاً في محاضر الشرطة في المدن الأميركية. ويقول المحللون: إن ٩٠٪ من حوادث الاغتصاب لا تصل إلىٰ سجلات البوليس. وهذا يعني ـ بحسبة بسيطة ـ أن عشر حوادث اغتصاب تتم كل ست دقائق، أو جريمتين ـ تقريباً ـ كل دقيقة.

ويستفاد من دراسة أجريت في الولايات المتحدة أيضاً، أن ٣١ في المائة من النساء القاطنات في المدن الكبرىٰ يخشين من السير بمفردهن، حتىٰ في أحيائهن، في وضح النهار. وأن كثيرات من النساء الأميركيات استعضن عن المشي بتعلم الكاراتيه لحماية أنفسهن من الرجال.

وفي لوس أنجلوس، التي أصبحت تشتهر بأنها «عاصمة حوادث الاغتصاب في العالم»؛ واحدة من ثلاث فتيات فوق سن ١٤ عاماً معرضة للاغتصاب.

ولقد بلغت الحال من السوء حداً دفع بحاكم ولاية كاليفورنيا لأن يعلن، في حديث تلفزيوني، حرباً لمدة ١٠ سنوات بكلفة ٥ مليارات دولار لمكافحة الجريمة. وتحدث الحاكم، واسمه جيري براون، عن الحال التي وصلت إليها الأوضاع في المدينة بقوله: «إن مستوىٰ الخوف، ودرجة العنف البشعة، أنشأت جواً من شأنه تقويض حقنا الأساسي في أن نكون أحراراً في مجتمعنا».[1]

وأرجو أن تتأملوا عبارته الأخيرة «حقنا الأساسي في أن نكون أحراراً في مجتمعنا» فليس حراً من كان مهدداً، خائفاً، غير آمن. ليست حرة من تختلط بالرجال؛ وهي عرضة لاعتدائهم عليها، مهددة باغتصابهم لها، تتجول، أو تعمل، وهي خائفة من عدوان الرجال عليها.

٤٠ مليون امرأة عاملة يضايقهن رؤساؤهن

فما أكثر العاملات في الشركات والمصانع والمؤسسات، اللواتي يتعرضن لمضايقات العاملين معهن من الرجال، أو المسؤولين عنهن، مضايقات قد

تصل في بعض الأحيان إلىٰ الاعتداء، والاغتصاب . . .

والتقرير التالي يخبرنا أن أربعين مليون امرأة عاملة في أميركا يتعرضن لمضايقات رؤسائهن فقط . . فما بالكم باللواتي يتعرضن لمضايقات زملائهن أيضاً؟!

لنقرأ معاً، ولنتأمل معاً المعلومات الهامة الواردة فيه:

«أصبحت مشكلة المضايقات التي تتعرض لها النساء من رؤسائهن في العمل، بسبب مقاومتهن لرغباتهم الجنسية، من أهم المشكلات التي تثير الجدل في الولايات المتحدة، حسبما يبدو من كلام الخطباء في أحد مؤتمرات «حقوق الإنسان في الشركات» عقد في نيويورك.

وحسب الإحصائيات التي قامت بها بعض المؤسسات النسائية؛ فإن نصف النساء العاملات في الولايات المتحدة، والبالغ عددهن ٤٠ مليون امرأة، يتعرضن لمثل هذه المضايقات الناجمة عن الجنس، ولو مرة واحدة في حياتهن المهنية. وتمتنع الكثيرات منهن عن الشكوىٰ والتظلم من هذه المضايقات خشية أن يفقدن عملهن.

وحسبما تقول «كارن سوفينينه» مديرة قسم النصائح والإرشاد في معهد النساء العاملات بالولايات المتحدة؛ فإن ٧١٪ من النساء اللواتي اشتكين للمكتب من مضايقات رؤسائهن الجنسية؛ انتهىٰ بهن الأمر إلىٰ ترك العمل، فقد فصلت منهن ٢٨٪، بينما نقلت ٤٣٪ منهن إلىٰ وظائف أخرىٰ تعرضن فيها إلىٰ قدر كبير من المضايقات مما حملهن علىٰ الاستقالة.

وتقول «كاتلين بيراتيس»، إحدىٰ المحاميات الأميركيات اللواتي يقمن

بأعمال الدفاع عن حقوق النساء: في كثير من الأحيان؛ فإن التحقيقات التي تجريها الشركات في شكاوي النساء العاملات فيها، حول المضايقات الجنسية، تكون شكلية، حتىٰ في الحالات التي تتكرر فيها الشكاوي عن المدير أو الرئيس. ولذا فهي تقترح أن تقوم الشركات بتنظيم أسلوب خاص تتبعه النساء العاملات لديها.. للشكوىٰ من مضايقات رؤسائهن الجنسية.

وتقول «كارن سوفينينه» إن النتائج التي تترتب علىٰ عدم النظر بجدية إلىٰ موضوع المضايقات في مواقع العمل، قد تكون وخيمة للغاية.

وتضيف قائلة: إن من شأن ذلك إضعاف حماسة العاملات للعمل، والحد من رضائهن عن أعمالهن، وبالتالي التأثير علىٰ أدائهن.

فضلًا عن ذلك فقد تلجأ العاملات إلىٰ رفع الدعاوي القضائية علىٰ الشركات إذا ما تعرضن للمضايقات في العمل.. بسبب مقاومة رغبات رؤسائهن الجنسية.. كحرمانهن من الترقيات».

فأي حرية هذه التي لا تأمن معها العاملة أو الموظفة علىٰ نفسها، ولا تنجو من مضايقات رؤسائها، وتحارب بعدم ترقيتها، وتضطر إلىٰ الانتقال إلىٰ عمل آخر، أو حتىٰ الاستقالة وترك العمل؟!

المفهوم الحقيقي للحرية

ثانياً: من معاني الحرية أن يترك للمرء اختيار ما ترتاح إليه نفسه، ويميل إليه قلبه، فإذا اختير له، ولم يختر هو لنفسه، لم يكن حراً. ومن

ثم فإذا كان الاختلاط مما لا ترتاح إليه المرأة، ولا يميل إليه قلبها، فإنه يكون قيداً عليها، وتعطيلاً لحريتها.

في الولايات المتحدة مئات المعاهد والكليات غير المختلطة، ما زالت تلقى إقبالاً كبيراً من الفتيات الراغبات في متابعة دراستهن فيها.

أحد هذه المعاهد، واسمه (ميلز أوكلاند) ويقع في مدينة أوكلاند في ولاية كاليفورنيا، بدأت فيه ثورة عارمة، تناقلت أخبارها وكالات الأنباء، بسبب رفض الطالبات قرار مجلس الإدارة وضع حد لسياسة عدم الاختلاط بين الجنسين، والمتبعة منذ ١٣٨ عاماً.

وكان حرم هذه المؤسسة الجامعية المعروفة بهدوئها، والمتخصصة في الدراسات الفنية، يعج بالتظاهرات في وقت بدأ فيه إضراب شامل عن الدروس. واستُقبلت رئيسة الجامعة ماري ميتز بأصوات منبهات السيارات وصرخات الاحتجاج.

وقد برر مجلس الإدارة قراره بضرورة رفع عدد الطلاب المسجلين في المعهد، حيث هناك ٧٧٧ طالبة؛ في حين أن المطلوب هو ألف طالبة علىٰ الأقل لتغطية كلفة المعهد.

وقالت «آمي هاتو» الطالبة التي عبرت عن معارضتها للقرار بحلق شعرها: (لم أكن قادرة علىٰ التفكير بأنهم سيتجاهلوننا إلىٰ هذا الحد). وأعربت الكثير من الفتيات عن رغبتهن في مغادرة الجامعة.

وما دامت تغطية تكاليف المعهد هي المبرر الذي ذكر مجلس الإدارة أنه وراء إصداره قرار قبول الطلبة الذكور، فقد استنفرت الطالبات،

وبدأن في جمع التبرعات للمعهد، ونجحن خلال أسبوعين من الزمن في جمع ثلاثة ملايين دولار للجامعة. وكسبن المعركة مع إدارة الجامعة، وعاد مجلس الإدارة عن قراره بفتح أبواب الجامعة أمام الذكور؛ لترجع الجامعة غير مختلطة.. وقاصرة علىٰ الطالبات الإناث فقط.

إنهن يرفضن الاختلاط

ألا يشير هذا إلىٰ قوة الدافع في نفوس الطالبات برفض اختلاط الطلبة الذكور بهن في الجامعة؟ إن قوة هذا الدفع الفطري لتتأكد في أربع نقاط:

١ـ إضراب شامل عن الدروس.
٢ـ تظاهرات احتجاج شديدة وعنيفة.
٣ـ بذل جهود كثيفة لجمع ٣ ملايين دولار في زمن قياسي.
٤ـ إعراب كثير من الفتيات عن رغبتهن في مغادرة الجامعة.

وإحساس المرأة بالحرية وهي وسط مجموعة من بنات جنسها.. واضح لا يحتاج إلىٰ حديث طويل، وبيان مسهب، ويلاحظه أي رجل يدخل مجتمعاً نسائياً، حيث تتوقف النسوة عن الحديث، ويفتقدن الحرية التي كُنَّ يشعرن بها.

ويظهر جلياً إحساسهن بأن دخول الرجل عليهن.. أوجد ما يشبه القيد علىٰ حرية تبادلهن الحديث.. بل وجلوسهن.. ووضعهن عامة.

وهذا ما عبرت عنه قاضية سويدية اسمها «بريجيدا أولف هامر» طافت عواصم الشرق ومدنه وقراه، ودرست ـ لحساب الأمم المتحدة ـ مشاكل المرأة الشرقية العربية علىٰ الطبيعة. فقد قالت هذه القاضية: إن المرأة

الشرقية، في قطاعات كثيرة من الحياة، أكثر حرية من المرأة السويدية، لأن الحرية ـ كما تقول ـ هي أن يكون للإنسان عالمه الخاص المستقل، على العكس من حال المرأة السويدية.. التي ليس لها عالم لم يشاركها فيه الرجل».

وتضيف: *«إن حرية المرأة الغربية حرية وهمية، لأنها لم تمنح المرأة ـ في الحقيقة ـ المساواة بالرجل إلا بعد أن جرّدتها من صفاتها الأنثوية، وحريتها الأنثوية، وحقوقها الأنثوية؛ لتجعل منها كائناً أقرب إلىٰ الرجل». «إنها حرية الغني الذي سعىٰ للمساواة بالفقراء، وحرية ساكن الجنة الذي سعىٰ للنزول إلىٰ الأرض».*



(١) مجلة «النهضة» ـ العدد ٧٣٦.

(٢) رسالة إلىٰ حواء ـ ج ١ ـ ص ٩٤.

المحتوى

* في حديقة الحيوان * اغتصاب كل ٦ دقائق * ٤٠ مليون امرأة عاملة يضايقهن رؤساؤهن * المفهوم الحقيقي للحرية * إنهن يرفضن الاختلاط.

